

****

**الكون والإنسان**

**في التكوين والقرآن**

**في ضوء مقارنة الأديان**

**السيد إبراهيم أحمد**

## المقدمة

من الزوايا الهامة التي تبرز الاختلاف الجوهري بين الإسلام واليهودية والمسيحية هو تصوره لخلق الكون وخلق الإنسان والذي يثبت للدارس المحايد أن التصور الإسلامي هو التصور الأصوب والأدق على مستوى النصوص المقدسة الواردة بالكتب السماوية السابقة عليه، وهو ما يثبت أيضًا أن القرآن الكريم هو كتاب الله العزيز المهيمن على كل الكتب السابقة عليه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وليست الغاية القصوى من ذكر آيات الخلق والكون في القرآن الكريم تكمن في الدلالة على صحة ما جاء فيه، بل الغاية منه هو الوقوف على مدى التحريف الذي امتد إلى الكتب المقدسة قبله والتي نالت من مصداقيتها وصحتها، وذلك الذي يتغياه الباحث من تطبيق أدوات علم مقارنة الأديان طبقًا لضوابطه العلمية المنهجية المحايدة والصارمة التي لا تنحاز إلا لصاحب الحجة والبرهان والدليل على صحة ما يذهب إليه.

ومن العلوم الهامة التي سبق إليها علماء الإسلام علماء الدنيا هو علم مقارنة الأديان وهذا ما قد يغيب عن بعض المسلمين وينسبون الفضل في وجوده إلى بعض علماء الغرب، ومن هنا وجب أن نلفت الأنظار إلى هذا المنحى الذي يتشابك مع موضوع الكتاب في إلقاء الضوء على هذا العلم.

وسأقتصر في هذا الكتاب على إيراد قصة الخلق للكون والإنسان كما جاءت لا في التوراة والإنجيل معًا وليست في كل أسفار العهد القديم كلها بل سأقتصر على ما ورد في سفر التكوين من التوراة، وكما وردت في القرآن الكريم، من خلال منهج التحليل المقارن.

وإذا كان القرآن الكريم قد تناول نفس الموضوعات التي ذكرتها التوراة إلا أن التناول والمعالجة مختلفان جدًا؛ إذ كل ما ورد في التوراة عن قصة خلق السموات والأرض إنما جاء في سفر التكوين عبر عدة آيات، ولم تذكر التوراة قصة الخلق بعدها، بينما لا يذكرها القرآن الكريم كرواية كاملة، إنما يذكرها في مواضع مختلفة تقصها بتفاصيلها وترتيب الخلق فيها.

سيتضح بعد هذه المقارنة موازنة الفرق بين النصين القرآني والتوراتي، مدى موافقة القرآن الكريم لآيات هذا السفر بالتصديق أو التكذيب لما جاء فيه، أو سكوته عنها وذلك إشارة منه إلى عدم تصديقها.

والله أرجو أن يجعل ما كتبته نافعًا للإسلام والمسلمين، وأن يقنع أصحاب العقول والقلوب التي تبحث عن الحق أن تهتدي إليه، كما اهتدى إليه فطاحل علماء الغرب في ميادين العلوم المختلفة، ومنهم من أسلم، ومنهم من أقر للقرآن الكريم بالأسبقية وإن لم يسلم.

**المؤلف**

**الباب الأول**

## علم مقارنة الأديان.. علم إسلامي المنشأ

**الكتاب المقدس في ضوء النقد الإسلامي**

**سفر التكوين بين النقد والتدوين**

**صحة القرآن الكريم وهيمنته**

**الفصل الأول**

## الكتاب المقدس في ضوء النقد الإسلامي

إن علم تاريخ الأديان المقارن قد ظهر وتطورت أفكاره في العهد العباسي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأن رواده الأوائل كانوا من المعتزلة والمتكلمة والشيعة والأشعرية، ومن تلك الأسماء: علي بن رُّبْن الطبري، أبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق الكندي، أبي عثمان بن عمرو الجاحظ، هارون الوراق، أبي القاسم الكعبي البلخي، أبي منصور الماتريدي، أبي بكر الباقلاني، ابن سحنون، الرقيلي، أبي القاسم القيسي، ونشير إلى أن المشرق الإسلامي كان متقدمًا في هذا المجال عن الغرب الإسلامي الذي بدا متواضعًا خلال تلك الفترة، وهؤلاء ممن وصلت إلينا أعمالهم، أمًا الأسماء التي ورد ذكرها في هذا المجال ولم تصلنا أعمالهم فهم: ضرار بن عمرو، ومحمد بن ليث، أبو سهل بن شر بن المعتمر، وأبو موسى عيسى المردادة، وأبو جعفر الإسكافي، وابن موسى النوبختي، وأبو هذيل العلاف([[1]](#footnote-1)).

### شهادات في حق علماء الإسلام في علم مقارنة الأديان:

يُرجِع البعض مسيرة الحركة النقدية للكتاب المقدس إلى مدرسة الإسكندرية الفلسفية وذلك الصراع الفكري الناشئ مع اليهود بين أسبقية النقل والعقل، وانشغال اليهود بالتوفيق بين يهوديتهم وبين الثقافة الهيلينية، وقد يرجع البعض بداية المسيرة مع أواخر القرن التاسع الميلادي مع حيوي البلخي اليهودي الفارسي مفسر وناقد الكتاب المقدس والمتهم بالهرطقة، الذي أورد ما يزيد عن مائتي اعتراض على الكتاب المقدس في كتاب له.

غير أن هناك من يرى أنه كانت هناك محاولات نقدية ضاربة في عرض الزمان استلهمت الفكر اليوناني وحاكته في تجرؤه على نقد الدين والآلهة، ثم حدث الاحتكاك الحضاري والمعرفي بالحضارة الإسلامية، وما صاحبها من نهم غربي في قراءة منتجها الثقافي والذي كان فيه من الكتب التي تناولت الكتاب المقدس بالنقد الموضوعي، وذلك بعد أن أشرع المفكر المسلم أشرعته في التحليق بقدمٍ ثابت من منتصف القرن الثاني الهجري وكثر التدوين في العلوم الإسلامية الأصيلة، وهو ما يثبت أن للعلماء المسلمين الفضل والإسهام بنصيب وافر في وضع بعض أسس دراسة الأديان قبل أن يظهر علم مقارنة الأديان عند علماء الغرب.

ذلك أن أثر العرب والمسلمين في علم الأديان يمتاز بطابعين جديدين:

أولا: أن الحديث عن الأديان أصبح على يد العلماء المسلمين دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم.

ثانيا: أن العلماء في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم من مصادرها الموثوق بها، كما يقول الدكتور محمد عبدالله دراز.

ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام؛ لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف بعضها ببعض، وكان كل دين يعدّ ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالاً.

وحسبك أن تتذكر موقف اليهودية من النصرانية وموقف النصرانية من اليهودية. فاليهودية لم تعترف بالنصرانية والمسيح، واعتبرت المسيح عليه السلام ثائرًا، والنصرانية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية، ولم تَرَ مع وجودها وجودًا لليهودية، ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية، والبوذية من الهندوسية. بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين، وعدّت اتجاهاتها هَرْطَقة وضلالًا، وربما حكمت كل منها بالإعدام على أتباع سواها وهذا الاتجاه كان هو الاتجاه العام بين الأديان وبين المذاهب، ومن هنا لم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام؛ لأن المقارنة نتيجة للتعدد، وليس التعدد معترفًا به عند أحد، فلم يوجد ما يترتب عليه، وهو المقارنة[[2]](#footnote-2).

ولقد أقر فرانز روزنتال F.Rossental أن علم مقارنة الأديان أحد الإنجازات الرفيعة للحضارة الإسلامية أسهمت به في التقدم الفكري للإنسانية([[3]](#footnote-3)).

مثلما أشادت بهذا الموسوعة البريطانية بجهود المسلمين في حقل دراسة الأديان، وأبرزت نقطتين جديرتين بالإشارة إليهما: تتمثل النقطة الأولى في تحقيق السَّبْق في مِضْمار دراسة الأديان، والثانية هي احتفاظ المسلمين بقيم الوحي والعقل معًا أثناء دراسة الأديان، وهو الأمر الذي لا تتسم به الدراسات الغربية للأديان.

يرجع المستشرق آدم متز الفضل إلى الحرية والتعددية الدينية فهيَ التي أدَّت إلى وجود جوٍّ من التسامح الديني والفكري، وهذا أدَّى إلى المخالطة والتواصل والمعايشة التي نتج عنها الحوار والمناقشة، ثم ما لبث الأمر أن اتَّسع ليشمل جانب الدراسة لديانة الآخر فهمًا ووصفًا، وتحليلًا ومقارنة، مما أدَّى إلى نشوء فرع من العلم يُسمى علم مقارنة الأديان([[4]](#footnote-4)).

### دور القرآن الكريم في الدعوة إلى دراسة الأديان الأخرى:

لقد كانت لآيات القرآن الكريم التي تناولت اليهود والنصارى بالرد عليهم أثرها القوي على علماء المسلمين للاهتمام بمقارنة الأديان حدا بهم إلى دراسة أديان الأمم السابقة بل أفردوا لها كتبًا لهذا الغرض، أو ضمنوا بعض مؤلفاتهم فصولاً مُطوَّلة تتناولها بالنقد والتمحيص والتحليل. ذلك أن القرآن الكريم قد قدم الدرس المنهجي الموضوعي الأول، في مجال مقارنة الأديان.

ولقد حفل القرآن الكريم بالحديث المفصل، المستوعب عن الأديان، والعقائد، والملل، والنحل، والمذاهب المختلفة المتنوعة، وعرض مقالاتهم بدقة، واستقصاء، ثم ناقشها وبين وجوه الزلل، والخطل، والبطلان، والزيف فيها، وقارن بينها وبين الدين الصحيح، الذي أرسل الله به رسله، عليهم الصلاة والسلام.

وتجد ذلك واضحًا في حديث القرآن الكريم، عن اليهود والنصارى، حيث فصل القرآن مقالاتهم، واعتقاداتهم، ومذاهبهم. ولم يعالجها متعجلًا في نص أو نصين. وإنما جاء فيها بفيض غزير زاخر، يتناولها من أقطارها، ويكشف عن خباياها وأبعادها.

وعلى سبيل المثال: فإن الحديث عن بني إسرائيل، جاء في القرآن الكريم، من أكثر المسائل نصوصًا، بعد العقائد. تحدث القرآن الكريم، في المكي منه والمدني، على سواء، وفي السبع الطوال، وما بعدها، من المثاني والمئين، والمفصل. وتناولهم بالآية المفردة، وبالجملة المتصلة من الآيات([[5]](#footnote-5)).

إن دافعية القرآن الكريم إلى التفكير كانت هيَ الركيزة الأساسية للعلماء الذين تلقوها بشكل غير صريح للتعرف على مناهج الديانات السابقة خاصة مع الاعتراف القرآني للرسالة الخاتمة بأنها الدين الحق، ولذا فقد اتًخذَتْ مقياسًا لعرض تلك الديانات وما تدعو إليه عليها، والبحث عن نقاط الخلاف والاتفاق بين عقيدة الإسلام التي ظلت على نقائها ووحدانيتها لم تدنسها يد الشرك والتحريف والانحراف عن جادة الصواب، المنهج الرباني الخالص.

### ابن حزم الأندلسي مؤسس علم مقارنة الأديان:

يعد ابن حزم الأندلسي هو المؤسس الحقيقي لعلم نقد الكتاب المقدس([[6]](#footnote-6)).

كما يعتبر علم التاريخ المقارن للأديان الذي وضع أساسه الإمام أبو محمد بن حزم مفخرة للأمة الإسلامية، وليس للأندلس فقط، حيث وظف هذا العلم لخدمة الدين الإسلامي الحنيف، وبطلان باقي الديانات الأخرى بسبب ما لحق كتبها من تحريف وتزييف، حيث أظهر براعة فائقة في مقارنته للفرق والديانات عن طريق استعماله للمنهج النقدي في إثبات ما ذهب إليه، فسبق عصره في هذا الميدان، فمما لا شك فيه أن ابن حزم يعود إليه فضل الأسبقية في هذا العلم وتطبيقه لمنهج صارم في نقد الكتاب المقدس، ما حدا ببعض الباحثين الغربيين على اعتباره مؤسس علم مقارنة الأديان بلا منازع، وإن كتابه الفصل في الملل والأهواء النحل أشهر ما صنف في هذا الباب ولذلك حظي ابن حزم في الغرب بهالة من التقدير والإجلال، كما يعد الإمام ابن حزم من أوائل علماء مقارنة الأديان، حيث رسم المنهج ووضع الأساس، كما ناقش بعض علمائهم وأفحمهم بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية ([[7]](#footnote-7)).

نقد ابن حزم الأندلسي التوراة خاصة، و هو نقد علمي سبق به علماء الغرب والمختصين بنقد الكتاب المقدس، واعتبر بحق رائد الدراسات النقدية، وانتهى من دراسته بنتائج قامت على أساسها مدارس نقدية في الغرب، ذلك أنه قد سبق أيضًا العلماء الذين سبقوه تاريخيًا وزمنيًا وأسهموا في مسيرة علم مقارنة الأديان غير أن الذي يحسب له هو أنه طالع تلك الكتب واختط لنفسه منهجًا جديدًا اعتمد فيه على النقل مع العقل، بعيدًا عن التعقيد اللفظي، واضح البيان، وافر البراهين الصحيحة ([[8]](#footnote-8)).

### دوافع النقد الإسلامي للكتاب المقدس:

تنوعت الدوافع التي تناولت الكتاب المقدس بالنقد، ويأتي على رأسها النص الإلهي القرآني، والنص النبوي الوارد في الأحاديث الشريفة بالدلالة الأكيدة على وجود تحريف واقع بالكتاب المقدس بعهديه من منطلق حواري وليس هجومي غايته إثبات الحق أمام أعين معتنقيه، وهناك من كان دافعه رد الهجوم على الكتاب المقدس بسوق الأدلة والبراهين على صحة ما جاء به وفيه الأمر الذي وحد الصفوف ضده من كافة الاتجاهات على اختلاف غاياتها ووسائلها ومنهم الاتجاه الإسلامي الذي كان يرى في هذا التصديق بالكتاب المقدس تكذيب لكتابهم في المقابل وانتصار للباطل على حساب الحق وهو ما لا يرضونه، كما لا يرضون أن يثبت من يدافعون عن الكتاب المقدس بأنه دين عالمي ([[9]](#footnote-9)).

من الدوافع الصادقة والجادة لنقد الكتاب المقدس فقط هو كشف كذب وتلفيق المحاولات المحمومة لبعض الدراسات في إثبات مصداقية الروايات التوراتية حتى تتوافق مع دوافع الأثريين في البحث عن المدن والأماكن التي ذكرها الكتاب المقدس في فلسطين.

وكانت غاية تلك الدوافع إثبات أن الكتاب المقدس بعهديه ليس كلامًا موحى به من قبل الله تعالى إن هو إلا كلام بشري يخضع للنقد والتمحيص، وأن من دوافع النقد الجلية هو الإحاطة بالأصابع الخفية للعابثين بالكتاب المقدس والدس والتغيير على نصوصه والافتئات على الله تعالى بنسبة ما خطوه بأيديهم إليه، وكذلك كشف التفاوت النصي سواء بالمعنى أو بالتراجم بين التوراة والأناجيل ذلك الذي أدى إلى اختلاف العقائد داخل الدين الواحد وتقسيمهم إلى فرق وطوائف يعادي بعضها بعضًا.

غير أن الدافع الأقوى عند علماء المسلمين هو كشف حقيقة التحريف والتبديل، وهم يستندون إلى أقوى وأظهر وأطهر دليل على صحة ما يذهبون إليه من أقوال.

ولعل هذا الدافع من أهم الأسباب التي دعت العلماء المسلمين إلى نقد الكتاب المقدس بعهديه هو اتكاءهم على نص إلهي محفوظ بعناية الله تعالى، يليه نص نبوي كريم فيهما من الدلائل الأكيدة التي تظهرها الآيات والأحاديث بتوجيه اتهام صحيح للتوراة والإنجيل بالتحريف والتبديل، مع ما فيه من حرية فكرية إسلامية، تظللها سماحة الإسلام وتسامحه مع أهل الديانات السابقة واحترام عقائدهم، والتعرف عليها في ضوء هذا المفهوم، إظهار أن الحق يدور مع الإسلام بوصفه دين الله الحق والخاتم.

ونتيجة لوثاقتهم في النص القرآني استطاع العلماء المسلمين أن يضعوا الأسس الأصيلة الغير مسبوقة لمنهجية النقد العلمي في تاريخ الأديان السماوية الكتابية، ولقد استخدم علم مقارنة الأديان في الإسلام العديد من المناهج التي عول إليها في تصانيف من تناولوه تدور بين منهج العقلانية في الحجاج، منهج التاريخ الوصفي، منهج التحليل المقارن، منهج التحليل النقدي، منهج الحوار والمناظرة الذي يعتمد على الجدل([[10]](#footnote-10)).

زادت الحاجة إلى علم مقارنة الأديان مع انتشار الفتوح الإسلامية ودخول بلدان فيها الكثير من العقائد المغايرة لعقيدة الإسلام، وما في هذا الحال من احتكاك ثقافي أدى إلى الحوار والجدال، وكان هذا مصاحبًا لانتشار الفرق الإسلامية كالكلامية وغيرها الأمر الذي استدعى من كل فرقة الرد من جانبها مع الاطلاع على الديانات الأخرى، مع زيادة المصنفات الإسلامية في دراسة التاريخ وكان من حيثياته دراسة عقائد الشعوب مع ما يدرسونه من جوانب أخرى.

كما يجب ألَّا نغفل محاولات الديانات السابقة: وضعية، وكتابية، وكذلك المذاهب الفلسفية: شرقية، وغربية، أن تسرّب إلى العقل المسلم بعض أفكارها ونظرياتها، مدثرة بألفاظ عربية ومظاهر إسلامية؛ مما أثر على بعض النشاطات العلمية، ومن الغريب أن بعض دعاة هذه الأديان والمذاهب كان يمارس نشاطاته علنًا، مثل: يوحنا الدمشقي، ويوحنا النيقي، وعدي بن يحيى، وسعيد بن البطريق، وهؤلاء الناس كانت لهم شبهات نصرانية يخترقون بها المسلمين، والثنويين الذين يقولون بإلهين اثنين وهم المجوس والثنوية وغيرهم، وغلاة الفلاسفة وبقايا الحرانيين، وغير هؤلاء.

وقد تصدى لرد هذه المحاولات علماء أكفاء كان لزامًا عليهم أن يدرسوا هذه الديانات، وأن يتعمقوا في كتبها وتاريخها وأصولها وفروعها للرد على دعاتها، وكان أكثرهم لا يتصدون للرد إلا إذا بلغوا في فهمها بعيدًا، ويعدل أو يفوق شأن علمائها وأربابها ([[11]](#footnote-11)).

### منهج النقد الإسلامي للعهد القديم:

إن القاعدة الأهم التي ينطلق منها النقد الإسلامي للعهد القديم هو إجماع علماء المسلمين على أنه محرف سواء كان التحريف واقع فيها بقسميه اللفظي والمعنوي، وسواء دافع اليهود عن كتابهم بنفيه التحريف عنه إلا أن هذا لا يؤثر في قيمة الحكم الجازم الحازم بأن هناك من عبث فيه، خاصة وأن جميع الطوائف من المسلمين واليهود والنصارى يشهدون أنه قد وقع في الكتب السابقة على نزول القرآن الكريم بما فيها التوراة تحريف وتبديل في معانيها وتفسيرها وشرائعها، وهذا مما يثبته ابن تيمية في الجواب الصحيح، وحذا حذوه تلميذه ابن قيم الجوزية حين قرر في كتابه هداية الحيارى أن القوم حرفوا في توراتهم بما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذوو بصيرة، والتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام بريئة.

وعندما نمعن النظر في حديث "القرآن عن التوراة" نجد أنه يتحدث عن توراتين:

التوراة الأولى: التوراة الربانية: وهي كتاب الله الكريم الذي أنزله على موسى عليه السلام.

التوراة الثانية: التوراة اليهودية: وهي التي ألفها الأحبار بعد ذلك، وحرفوا التوراة الأولى الربانية وغيروها وبدلوها.

وقد أثنى القرآن على التوراة الأولى، وأمرنا بالإيمان بها، لأنها كلام الله. بينما ذم التوراة الثانية، وأدان الذين ألفوها، ودعانا إلى عدم الإيمان بها، لأنها من تأليف الأحبار([[12]](#footnote-12)).

وجه القرآن الكريم سهام النقد للعهدين القديم والجديد معًا، وفي اقتصارنا على النقد الإسلامي المؤسس على القرآن الكريم في نقد التوراة، فقد اتهم القرآن عبر آيات كثيرة أحبار اليهود بممارسة اللبس والكتمان والتي تنطوي على معرفتهم للحق مع كتمانهم له، وهذا الحق هو ما أنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه مذكور عندهم في كتابهم، أما التلبيس فالمقصود به ومنه هو عملهم في تخليط الحق بالباطل إمعانًا في إخفاء الحق عن الأبصار والعقول، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ([[13]](#footnote-13)).

كما بين القرآن الكريم أن هناك تحريفًا أصاب تلك الكتب، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ([[14]](#footnote-14))، وسواء كان هذا التحريف ماديًا وهو بامتداد يد بشرية أعملت بقلمها في تبديل الألفاظ وتحويلها وتحويرها وتحريكها من أماكنها عن عمدٍ وقصد، أو تحريفٍ معنوي قُصِدَ منه فقط اللعب على تغيير مدلولات الألفاظ وكلماتها وتفريغها من المعنى الإلهي إلى معنى بشري يوافق أهوائهم، وقد توعد الله عز وجل من يُقدِمون على هذا الفعل الشنيع الذي يحمل اجتراء على الله تعالى وعلى النص الإلهي الحق بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَ•ذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ([[15]](#footnote-15)).

إن المتتبع لجهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس سيكتشف بحق عمق المنهج العلمي الدقيق الذي استلهموه من علومهم الإسلامية؛ فقد عرف المسلمون الكثير من العلوم الدينية، والتي تناولوها بشكل مبتكر يختلف عن تناول اليونان، الذين تحدثوا عن الأديان ضمن أحاديثهم الاجتماعية أو بحوثهم الفلسفية والجدلية؛ فقد كتب المسلمون عن الدين بطريقة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون وشاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم. فكان لهم السبق في تدوين الدين علمًا مستقلا، قبل أن تفعل ذلك أوربا الحديثة.

كذلك المسلمون في وصفهم للأديان لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولا أخبار العامة، ولا على المشاهد من العادات والطقوس الدينية في الطبقات الجاهلة، التي كثيرا ما تنحرف عن حقيقة أديانها، بل كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من المصادر الموثوق بها وبعد أن جعلوا الدين علما مستقلا، حاولوا وضع مناهج علمية لدراسته هذا الكلام تؤيده المؤلفات الكثيرة المختصة في علم الملل والنحل (علم الأديان)، إلى جانب المؤلفات الكلامية التي نجد فيها الرد على العقائد المحرفة ونقدها خاصة المسيحية منها. هذا الرد الذي يستند إلى نفس التقنيات المنهجية التي ظهرت في الغرب حديثا، من نقد للنصوص ومقارنتها والنظر في متنها وسندها بغرض إثبات مصداقيتها، والشواهد على ذلك أكثر من أن تعد([[16]](#footnote-16)).

إن إبداع وتطبيق منهج نقدي للأديان، كانت نواته وبدايته مع علماء الحديث الذين ابتكروا منهجية، لم تعرف من قبل، بهدف تخريج الأحاديث، فظهر ما يعرف بالجرح والتعديل والمتن والسند، وذلك لإعطاء الصفة العلمية والشرعية لنص الحديث الشريف، ولعلم الحديث كدراسة وتخصص.

لقد تنبه المحدثون إلى أن الحديث هو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، والخبر ما جاء عن النبي وغيره، ومن ثم اعتبروا الحديث ما جاء عن النبي فقط، أما عملية النقل والرواية وما يدخل فيها من كلام، غير كلام النبي، فهي خبر، والخبر له معنى ديني، وآخر تاريخي يقص أحداثا ماضية سبقت ظهور الإسلام، أو أتت بعده، من هنا كانت الصلة وثيقة جدا بين التاريخ كتخصص مستقل وعلم الحديث، باعتبار أن المؤرخين المسلمين استعاروا منهج المحدثين وطريقتهم في تدوين الحديث الشريف خوفًا من أن يشيع فيه غير الصحيح.

لقد تعامل المؤرخ المسلم بالدقة والتحري في تسجيل الحوادث وتأريخها بالسنة والشهر واليوم مخافة المجازفة بظلم من يكتب أو يروي عنهم فينسب لهم ما ليس فيهم أو ما لم يقولوه، لأن منطلقه في كتابة التاريخ ليس الالتزام بالمنهجية العلمية وحسب بل المنطلق العقدي الإيماني، حتى اهتموا بالإسناد وبينوا أهميته من خلال عبارات مشهورة صاغها العلماء، أمثال:

محمد بن سيرين: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)، وسفيان الثوري : (الإسناد هو سلاح المؤمن. فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟)، وعبدالله بن المبارك: (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

والإسناد هو رفع الحديث إلى قائله هذا بحسب تعريف علم الحديث، وبحسب علم التاريخ هو إرجاع الرواية التاريخية إلى شخص شاهد عيان، ولأهمية الإسناد فقد تعدى استخدامه لكل العلوم كعلم الأدب العربي، والتاريخ والطب وغيرها من علوم. علاوة على أن هذا المنهج العلمي الصارم الدقيق غير المسبوق يأتي من منطلق ديني إيماني فيه خشية من الله ورسوله والخوف الجليل من التحريف والتبديل خاصةً إذا علمنا أن المحدثين كانوا هم المؤرخون في بادئ الأمر ([[17]](#footnote-17)).

إن هذا المنهج لم يبق مقتصرًا على علم الحديث فسرعان ما استخدمه المؤرخون في نقد الخبر التاريخي، خاصة وأن القرآن الكريم قدم نظرة جديدة للماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب محدودة وعاد إلى بدء الخليقة، وذكر حوادث الأمم السابقة.

إن القرآن جاء بنظرة عالمية للتاريخ تتمثل في توالي النبوات، والتي تحمل رسالة واحدة. هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت الإسلام أما بعد ذلك انصب الاهتمام على التأريخ للإسلام في حد ذاته، الذي تولد عن الشعور بأن المسلمين أصحاب رسالة جليلة، وأنهم يمرون بمرحلة هامة ثم إن الفتوحات أمدتهم بالإحساس بدورهم التاريخي الهام والخطير، وكان لوضع عمر بن الخطاب لتقويم ثابت هو التاريخ الهجري، دورا حيويا في نشأة الفكرة التاريخية ([[18]](#footnote-18)).

إذا كان علماء الحديث وضعوا المنهج بهدف معرفة الصحيح من الحديث، والمؤرخون طبقوا منهج الرواية والسند والجرح والتعديل، بهدف التأكد من صحة الخبر التاريخي، فإننا نجد أيضا علماء الكلام والفلاسفة المسلمين استخدموا منهج علم الحديث، لكن بهدف الرد على العقائد المخالفة للإسلام وإثبات تحريفها خاصة السماوية منها. لقد كان علماء الكلام على وعي بالجدل المسيحي/ المسيحي وبأزمة المسيحية التي تتصل بالمصادر البشرية للكتاب المقدس، فسلطوا جهودهم العلمية عليه، والتي مكنتهم من كشف الكثير من الحقائق، بمناهج نقدية، كشف النقد المعاصر عن أصالتها وأهميتها وإبداعيتها، ومرجعيتهم في ذلك ما صرح به القرآن الكريم من تحريف وتبديل أهل الكتاب، مؤسسين بذلك لما عرف بعلم الملل والنحل، وبالمنهج النقدي التاريخي للنص الديني ([[19]](#footnote-19)).

ولقد انتهج العلماء المسلمين خلال تأسيسهم لعلم مقارنة الأديان خطوات علمية ممنهجة يستطيع الباحث عنها أن يستخرجها من خلال مؤلفاتهم كما قام بهذا الدكتور إبراهيم تركي والذي أثبت انتهاجهم للمنهج الوصفي باعتباره المنهج المستخدم في علم مقارنة الأديان، وركونهم إلى طريقة المقارنة باعتبارها المحور الأساسي الذي يقوم عليه هذا العل ولقد تم هذا من خلال الخطوات التالية:

### الالتزام بالموضوعية والحيدة:

وهذا الشرط أو هذه الخطوة من الخطوات الهامة والأصيلة في ميدان البحث العلمي، ومفادها أن ينحي الباحث أو الكاتب في هذا العلم أهواءه وميوله وآراءه وأفكاره جانبًا عند تسجيل أو رصد الظاهرة أو القضية الدينية، حيث ينظر إليه كما هي عليه في الواقع المكتوب أو الممارس فعليًا، وليس كما يراها هو أو يعتقدها.

يشهد الدكتور إبراهيم تركي لعلماء مقارنة الأديان المسلمين، فيقول: (إن الكتابات الإسلامية في مجال علم مقارنة الأديان يمكن أن تعتبر ،على نحوٍ ما، أكثر التزامًا بالموضوعية من أكثر الكتابات الحديثة في هذا المجال، إذ أنه من الثابت، على المستويين التاريخي والموضوعي، أن النزعات العرقية والحركات التبشيرية والاتجاهات الاستعمارية، قد أثرت، بصورة ملموسة، على البحث في علم مقارنة الأديان، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ([[20]](#footnote-20)).

### جمع المعلومات:

وهذه الخطوة تعتمد على جمع المعلومات عن الظاهرة أو الدين من مصادرها الأصلية وأهمها الكتب المقدسة للدين، أو الكتب التي كتبت عن مؤسس الدين من قبل أتباعه المتصلون به والمباشرون له، والتي قد تكون في منزلة الكتب المقدسة ذاتها، وكذلك الشروح والتفسيرات لتلك الكتب والتي وضعها علماء كل دين والتي يكون لها اتجاه معين عند وضعها من حيث كونها نصوص نقلية أو عقلية أو وسطية بين هذا وذاك، مع عدم إغفال الاحتكاك المباشر بأرباب هذه الديانات من المؤمنين بها.

ومن الملاحظ أن العديد من مفكري الإسلام الذين خاضوا في مجال علم مقارنة الأديان، قد التزموا، في أحيان غير قليلة، بهذه الخطوة المنهجية الأساسية، وذلك في حدود المصادر المتاحة لديهم.

### التوثيق:

المقصود بالتوثيق، هو أن يشير الباحث إلى المصدر الذي نقل عنه المعلومة أو القضية أو الفكرة، يقول الدكتور تركي: (أن العديد من مفكري الإسلام، سواء في مجال علم مقارنة الأديان أو في غيره من المجالات، قد التزموا، في كثير من الأحيان، بهذه الخطوة المنهجية، حيث أنهم كانوا يذكرون المصدر أو المصادر التي نقلوا عنها).

### العلوم المساعدة:

المقصود بالعلوم المساعدة هي ما يمكن أن يتزود به الباحث من علوم فرعية أخرى غير علمه الذي تخصص فيه، وفي علم مقارنة الأديان يجب أن يكون الباحث على دراية تامة باللغة الأصلية للدين الذي يدرسه أو يتناوله بل بلغة الديانات التي يقارن بينها، ولقد كان العديد من مفكري الإسلام على دراية تامة باللغة التي يتكلم بها أصحاب الدين، وليس كلهم بالطبع ممن أجاد لغات أهل الدين الذي تناولوه بالنقد سواء في علم تاريخ الأديان أو علم مقارنة الأديان، بل اعتمدوا على ترجمات عربية معاصرة لهم في هذا، ومنهم الإمام ابن حزم الظاهري ومجاله نقد الدين، وإذا كان الدكتور تركي يعتبر هذا الصنيع نقطة ضعف منهجي، وأرى أن هذا ليس لزامًا خاصة إذا كانت الترجمات التي اعتمد عليها مما توافر فيها شروط الترجمة العلمية الفائقة، ويستطيع من خلالها إعمال الفكر في نقدها بأسلوب علمي موثق ممنهج وكم سدت هذه الدراسات فجوات كثيرة في الرد على أصحاب الديانات الأخرى.

وسيتضح منهج علماء الإسلام وأشهرهم عند علماء الغرب هو الإمام ابن حزم ومنهجه في نقد العهد القديم وسفر التكوين الذي سنركز عليه في كتابنا هذا، وهو ما يعطي القارئ تصورًا هامًا حول منهجية النقد الإسلامي للكتاب المقدس، وخاصةً سفر التكوين وقصة الخلق فيه مقارنة بما جاء به القرآن الكريم.

**الفصل الثاني**

## سفر التكوين بين النقد والتدوين

يأتي موقع "التكوين" على رأس الأسفار الخمسة والتي لا يختلف عليها اليهود سواء من السامريين أو العبرانيين؛ فهو أول أسفار العهد القديم، ويأتي ضمن الأسفار الخمسة التي يطلقون عليها التوراة، والتي أنزلها الله تعالى على موسي عليه السلام، كما يزعمون، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

ترجع سبب تسمية هذا السفر بالتكوين، من الكيفية التي كون الله بها لنفسه شعبًا اختاره من كل شعوب العالم، وكوَّن له هذا الكون من مخلوقات، وشعوب جعلها كلها عبيدً لهذا الشعب المختار وحده دون الشعوب، ثم أسكنه وحده الأرض المقدسة.

والتكوين شأنه شأن أسفار العهد القديم شاب تدوينه الكثير من التناقضات التي أحالت بالتبعية إلى نقده، فكان التدوين مقدمة والنقد نتيجة، وللتعرف على سفر التكوين يقتضي التعرف على الكل الذي ينتمي إليه.

### أقسام سفر التكوين والغرض منه:

سفر التكوين هو أول أسفار الكتاب المقدس، وهو من أهم تلك الأسفار لأنه سفر البدايات، ويتكون سفر التكوين من خمسين إصحاحًا، أستطيع تقسيمها على النحو التالي:

• القسم الأول: ويستقل به الإصحاحات (1 • 11)، وهو القسم الذي يتناول تكون العالم قبل خلق إبراهيم عليه السلام.

• القسم الثاني: ويستقل بالإصحاحات (12 • 25)، وهو القسم الذي يتناول حياة إبراهيم عليه السلام.

• القسم الثالث: ويستقل بالإصحاحات (26 • 36)، وهو القسم الذي يتناول حياة إسحق ويعقوب عليهما السلام.

• القسم الرابع: ويستقل بالإصحاحات (37 • 50)، حياة يوسف عليه السلام. وعند وفاة يوسف بمصر وخروجه منها مع أهله تنتهي آيات وإصحاحات سفر التكوين ([[21]](#footnote-21)(.

### لمحة تاريخية حول العهد القديم:

تشتمل مادة العهد القديم في المقام الأول على مادة دينية تخص ديانة بنى إسرائيل بما احتوت من عقائد وشرائع ومفاهيم دينية.

كما يحتوى العهد القديم على تاريخ لأنبياء بنى إسرائيل ودعوتهم من خلال أقوال الأنبياء الذين سجلها تلاميذهم في أسفار نسبت إليهم بأسمائهم وبالإضافة إلى المادة الدينية الخاصة بالدين والعقيدة والتشريعات توجد مادة تاريخية ضخمة تمتد من بداية تاريخ الخليقة وتنتهى مع نهاية العهد القديم في القرن الثاني قبل الميلاد. وهى بمثابة عرض للتاريخ الإنساني منذ بدايته وعرض مفصل لتاريخ جماعة بنى إسرائيل يصل إلى ذروته في عرض تاريخ مملكة داود وسليمان عليهما السلام • مرورا بعصر القضاة • ونهاية مملكتي إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية وسقوط هاتين المملكتين على يد الأشوريين والبابليين والدخول بعد ذلك في العصرين الفارسي واليوناني. ويختلط بهذه المادة التاريخية تفسير إسرائيلي لأحداث التاريخ القديم ووقائع التاريخ الإسرائيلي في علاقته بالتاريخ العام للبشرية بمعنى أن العهد القديم يعطى تاريخا وتفسيرا للتاريخ في نفس الوقت من زاوية دينية توضح الفهم التاريخي لدى الإسرائيليين القدامى.

وتكتمل أسفار العهد القديم بكتب الحكمة التي سميت بالمكتوبات وهى تضيف إلى المادة الدينية والتاريخية مادة جديدة ذات طبيعة أدبية لأنها أتت في شكل القصة والراوية والمصيدة الشعرية والمثل والحكمة والأغنية وغير ذلك من الأشكال الأدبية. وهى من ناحية المضمون تختلف عن مادة التوراة وأسفار الأنبياء إذ تسيطر عليها موضوعات الحكمة مع قليل من التفلسف المردود إلى مؤثرات أجنبية ([[22]](#footnote-22)).

العهد القديم مجموعة من الأسفار يعتقد من يؤمن به أنه مكتوب بإلهام من الروح القدس ولذلك يضفون عليها صفة الإلهية، وتاريخ كتابتها يمتد من القرن السادس عشر قبل الميلاد وحتى ظهور المسيح عليه السلام في القرن الأول الميلادي، وقد اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفرًا أطلق عليها في العصور المسيحية اسم "العهد القديم" ليفرقوا بينها وبين الأسفار التي جاءت في زمن عيسى عليها السلام وأسموها مجازًا "العهد الجديد"، وكلمة العهد الموجود المشترك تعني "الميثاق" ويقصدون به "الميثاق" وهو الميثاق الذي أخذه الله على الناس عبر "موسى" قديمًا، وعبر "عيسى" جديدًا، ثم جمع المسيحيون العهدين وأطلقوا عليه "الكتاب المقدس" الذي يشمل ستة وستين سفرًا بإضافة 27 سفرًا مسيحيًا إلى أسفار اليهود ([[23]](#footnote-23)).

اختلف اليهود في أسفار العهد القديم من حيث الترتيب والتقسيم مثلما اختلفوا في تسميتها، غير أنها تنقسم إلى أربعة أقسام:

**• القسم الأول: الأسفار الخمسة:** وهي كتب موسى "البانتاتيك" باليونانية وتعني "الشرائع" أو "الناموس"، وهي، التي أشرنا إليها سابقًا، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد. وتشتمل هذه الأسفار على التوراة عند اليهود.

**• القسم الثاني: الأسفار التاريخية:** وهي الأسفار التي تسرد لتاريخ بني إسرائيل من قضاتهم وملوكهم وأشهر أيامهم، وذلك بعد أن استولوا على بلاد الكنعانيين ثم طابت لهم الإقامة فيهم. وتضم هذه الأسفار اثنا عشر سفرًا، وهي أسفار: يوشع، القضاة، راعوث، صموئيل "وله سفران"، أخبار الأيام "سفران"، عزرا، نحميا ، إستير.

**• القسم الثالث: الأسفار الشعرية "أسفار الأناشيد":** وتتألف من خمسة أسفار، وهي أسفار: أيوب، مزامير داود، أمثال سليمان، الجامعة من كلام سليمان، نشيد الأناشيد.

**• القسم الرابع: أسفار الأنبياء:** وهم أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا بعد موسى وهارون عليهما السلام، وعدد هذه الأسفار التي تتناول تاريخهم سبعة عشر سفرًا، وهي أسفار: أشعياء، أرمياء، مراثي أرمياء، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونس، ميخا، ناحوم، حبقوق، صُفًنْيا، حَجِّي، زكريا.

وهناك التوراة السامرية بخلاف التوراة العبرانية، وهي التي يؤمن بها السامريون من اليهود، ولا تضم إلا الأسفار الخمسة الأولى، والذين لا يعترفون بأي نبوة نزلت بعد موسى وهارون عليهما السلام، فهم يرون أن العبرانيين أعملوا التحريف والوضع في كتبهم، أما كتاب السامريين المقدس فهو الخمسة أسفار المذكورة والتي قد تصل إلى سبعة كتب إذا أضفنا إليها سفري "يوشع و"القضاة كما يحب أن يضيفهما بعض السامريين وليس كلهم ([[24]](#footnote-24)).

## يد عزرا في التوراة

الثابت تاريخيًا أن توراة اليهود ضاعت في عهد مملكة يهوذا، ثم ظهرت في القرن الثامن قبل الميلاد، ثم ضاعت في عهد الملك نبوخذ نصر الذي حرق أورشليم وهدم هيكلها وأسر اليهود، ثم أدعى الكاهن حلقيا في زمن يوشيا ملك يهودا أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس وأعطاها الكاتب شافان، لكن هذه النسخة لا يعتمد عليها، وبعد عودة اليهود إلى فلسطين في عهد الملك كورش، انتهز اليهود الفرصة في منتصف القرن الخامس 244 ق.م فاجتمعوا وقرأ عليهم عزرا "سفر الشريعة" من مطلع النهار إلى منتصفه.

ولمَّا فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستورًا لهم يتبعونه، ومبادئ خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها أبد الآبدين، وظلت هذه الشرائع من تلك الأيام إلى يومنا هذا المحور الذي تدور عليه حياة اليهود.

وهنا يكون التساؤل:

هل الكتاب الذي قرأه عزرا هو الكتاب الذي قرأه يوشيا في القرن الثامن أو لا؟ والجواب واضح وهو أن سفر الشريعة الذي قرأه يوشيا قد قرأه عزرا في نصف يوم، بينما الأمر الذي دعا إليه عزرا احتاجت قراءته لمدة أسبوع كامل ([[25]](#footnote-25)).

والواضح أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة وعمل على نظمها، غير أن تاريخ تدوينها قد تم خلال مراحل مختلفة، وأنها لم تكتب بيد واحد فقط بل من عدة كتاب مجهولين، من خلال كتابات سماعية، مكتوبة بثلاث لغات مختلفة من العبرية والآرامية واليونانية، غير أن اللغة العبرية لموسى تختلف عن نصوص العهد القديم العبري الذي كتبه عزرا، وهي غير التوراة التي أشار إليها القرآن الكريم في محكم آياته.

ولقد ثبت لدى الكثير من الباحثين والمؤرخين أن التوراة بأسفارها لم يكتبها موسى عليه السلام، ولا هو أملاها على أحد، وأن هذه الأسفار تحمل ظلال وانعكاسات الأحداث التاريخية التي عاشها اليهود في بيئات اجتماعية تحكمها سياسات مختلفة بما تحمله من أحكام وتشريعات وتعرضت للتدخل البشري بالحذف والإضافة والتنقيح والتهذيب. ذلك أن المصادر الحديثة الخاصة بالتوراة تقول: أن التوراة الموسوية كانت قد فقدت من المجتمع اليهودي لعدة قرون.. وتقول دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان: "توراة"، أن العلم العصري ولا سيما النقد الألماني، قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل ([[26]](#footnote-26)).

وعلى الرغم من صدى السبي البابلي لليهود فأنه لا تتوافر لدينا وثائق تاريخية معاصرة لمراحل السبي، وهذا ما يجعل من الصعوبة تكوين صورة متكاملة عن الموضوع بالاعتماد على العهد القديم والكتابات اليهودية الأخرى فقط، والتي تكاد معظم الروايات الواردة فيها متناقضة وناقصة ([[27]](#footnote-27)).

### موقف النقد الإسلامي من الأسفار الخمسة.. ابن حزم أنموذجًا:

كان موقف النقد الإسلامي من الأسفار الخمسة واضحًا، وذلك حين شكك الإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري في صحة نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام ولم يكن هذا منه تحاملًا بل ساق العديد من البراهين التي تؤكد ما ذهب إليه من خلال الاختلافات بين التوراة العبرانية والتوراة السامرية، والاختلاف بين التوراة العبرانية والسبعينية، أما الدليل الأقوى في أن موسى لم يكتب ولا حرفًا في الأسفار الخمسة هو ما ذكره سفر التثنية من حديث موسى عن نفسه بصيغة الماضي الغائب، حين يذكر وفاته وهو ابن مائة وعشرين سنة وأنه لم يقم نبي مثله، وفي سفر التثنية يخبرهم موسى بأنه أخبرهم به بعد عبوره النهر، وموسى لم يعبر نهر الأردن.

يقول ابن حزم: (نحن نصف التوراة • إن شاء الله • حال كون التوراة عند بني إسرائيل، من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام، إلى انقراض دولتهم... إلى رجوعهم إلى بيت المقدس.. إلى أن كتبها لهم عزرا الورَّاق) ([[28]](#footnote-28)).

أن الفترة التي كتبت فيها الأسفار الخمسة كانت بعد وفاة موسى بما يقارب تسعمائة سنة، ولا يمكن أن تكون قد دونت في عهده، ولا حتى في الجيل التالي بعده، وأن أسفار موسى كانت أقصر من الموجودة حاليًا التي تبلغ حوالي أربعمائة صفحة، كما تضم الأسفار أحداث لم يشهدها موسى، كما أن زمن كتابتها ربما كان في بابل في زمن التهجير، أو في كنعان أو في أورشليم، ولكنها لم تكتب وقت حياة موسى في صحراء سيناء، وأن أنسب تأليف لهذه التوراة في زمن سليمان عليه السلام قبل ميلاد المسيح بألف سنة، ذلك أنه لم يرد أن التوراة قد تم قراءتها في الاحتفالات الخاصة بافتتاح الهيكل، وأن قراءة كانت لعزرا، كما يؤكد التحريف الواقع داخل هذه الأسفار، وتضارب نصوصها ما يؤكد أن ما كتبها ليس موسى عليه السلام.

مصادر سفر التكوين تشير بعد الدرس والفحص أن اليد التي كتبتها يد بشرية، وجاءت الشهادة من أهلها بحسب ما جاء في الدراسة المتميزة التي قام بها الرهبان اليسوعيين والمسكونيين التابعين لفرنسا، حيث أثبتوا التأثيرات البيئية والمجتمعية والحضارية التي مد إليها كاتب سفر التكوين أو كاتبوه لينقلوا ما شاء لهم من أساطير شاعت في مصر الفرعونية، وبلاد ما بين النهرين بالعراق، وبلاد الكنعانيين، والمنطقة الفينيقية ([[29]](#footnote-29)).

وكان للاكتشافات الأثرية التي تمت منذ قرابة القرن هي التي كشفت المشتركات بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وقصة الخلق البابلية التي تركت آثارها بقوة في قصة الخلق التوراتية ([[30]](#footnote-30)).

طبقًا لكل الدلائل التي أحاطت بسفر التكوين من نقد نصي، ونقد أدبي، ونقد لمصادره، وطبقًا للمكتشفات الأثرية التي تعد من الشواهد القوية، وطبقًا لما صرح به علماء من يؤمنون بالكتاب المقدس، تنفي نفيًا تامًا أن يكون قد كتب موسى حرفًا فيه أو أملاه على غيره، أو كتبه في حياته، أو كتبه بعد أقرب جيل تالٍ له، ولم يكتب في صحراء سيناء في التيه لم يستقروا في مكان بعد، بل كتبت في عصر الملوك، أي بعد أن استولوا على كنعان، واتخاذهم أورشليم عاصمة لمملكتهم، وهذه الأدلة إلى جانب ما تناوله علماء المسلمين لهذا السفر بالنقد أنه ليس وحي الله تعالى المنزل على موسى، وأنه بشري الصناعة، ولم يكتب بإلهام من روح القدس.

كما أن أطروحات الدكتوراه الحديثة لتؤكد وثاقة النهج الإسلامي في إثبات تحريف الأسفار الأولى بسفر التكوين، دلالة على سير الأولين من الأعلام الذين كان لهم الريادة في دراسة كتب الديانات السابقة، والتي تدور في فلك علم مقارنة الأديان عموما، ونقد التوراة على وجه التحديد.

هذا العلم الذي يضرب بجذوره عميقا في ماضي الحضارة العربية الإسلامية، مُشكلا بذلك حلقات متواصلة من الحوار المثمر والفعال بين مختلف الثقافات والحضارات واللغات. ولم يكن هذا الاهتمام بالأديان طارئا على هذه الحضارة الشامخة، كما أنه لم يكن وليد ظروف معينة فيتوارى إلى الخلف بمجرد انتفاء أسباب ظهوره ونشأته.

لقد كان القرآن الكريم الذي يحمل إلى العالم أجمع رسالة التسامح الحق المنطلق الأول لنشأة وتطور النقد الإسلامي للكتاب المقدس بجزأيه العهد القديم والعهد الجديد. ومن هنا أتى القرآن الكريم بحسب تعبير محمد خليفة حسن بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامي، أصبحا فيما بعد عماد النقد الغربي الحديث، والذي تمثله مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل. وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم في القرنين التاسع عشر والعشرين ([[31]](#footnote-31)).

ولقد أشارت الباحثة كريمة نور عيساوي في رسالتها للدكتورة بعنوان: "التوراة من التدوين إلى النقد، دراسة تطبيقية في سفر التكوين لقضايا: الخلق والخطيئة والطوفان وبرج بابل" إلى مدى تأثير الوضعية غير الثابتة للتوراة في رحلتها الطويلة من التدوين إلى النقد في تشكل مادة سفر التكوين؟ وما هي العلاقة القائمة بين التكوين التوراتي والتكوين البابلي؟

وقد تعمقت هذه الإشكالية مع دراستها للإصحاحات الأولى لسفر التكوين التي تعود إلى تاريخ الأصول، وما يكتنفه من لُبس وغموض. والتي تطرح أسئلة كثيرة من قبيل: لماذا يحتوي سفر التكوين على روايتين مختلفتين للخلق وللطوفان؟ وأيهما أقرب إلى القرآن الكريم؟ ما السر وراء تقلب الإله التوراتي، وارتدائه لأقنعة مختلفة؟ هل هو صورة طبق الأصل لآلهة الشرق الأدنى القديم أو هو مزيج ما بين هذه الآلهة وإله بني إسرائيل؟ وما هو أثر فكر هذه الحضارات، وخاصة حضارة بلاد الرافدين في تشكل التوراة عموما، والإصحاحات الأولى من سفر التكوين على وجه الخصوص؟ ماهي الدلالة التي يحملها زواج أبناء الله ببنات الناس؟

ألا يُعد هذا "الزواج المقدس" ضربا لفكرة التوحيد التي نادت بها اليهودية، والعودة بها مجددا إلى الوثنية؟ أم هي استعادة فاضحة لأساطير الشرق الأدنى القديم؟ لماذا تم تغييب الشيطان، وتعويضه بالحية في قصة آدم وحواء في الوقت الذي أفصحت فيه الأسفار المنحولة عنه؟ ألا يمكن اعتبار هذه الأسفار المنحولة التي أُبعدت من قانون التوراة، حاملة لبعض بوادر النبوة الحقيقية خاصة أنها أتت على ذكر الملائكة والسماوات السبع وإبليس...؟ ما هي الإضافات النوعية التي أضافها القرآن الكريم لسفر التكوين؟ و إلى أي حد أفلح ابن حزم في التعرف على بعض مظاهر الخلل الذي يعاني منه سفر التكوين؟ وما هي أوجه التشابه بين نقده للتوراة ومناهج النقد عند الغربيين؟

ولقد توصلت الباحثة إلى أن التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، والتي رسم القرآن الكريم ملامحها الكبرى، لا أثر لها باعتراف التوراة نفسها. فقد اكتشف النبي سليمان عليه السلام ضياعها حين فتح تابوت العهد، ولم يجدها مثلما ورد في سفر الملوك الأول (8: 9).

بضياع هذه التوراة، لا أحد يعرف ما هي على وجه التحديد المصادر (أهي مصادر مكتوبة أو شفوية) التي اعتمدها عزرا في إعادة تشكيله للتوراة الحالية. و مما يزيد الأمر غموضا هو شح المعلومات الخاصة بظروف تدوينها، وغياب شرط التواتر في نقل متنها، وإضفاء هالة من التقديس على هذه العملية برُمتها، واعتبار شخصية عزرا المثيرة للجدل شخصية محورية في الفكر الديني اليهودي.

كما أن الجدل أو الخلاف لم يكن فقط بين الديانتين اليهودية والمسيحية، وإنما تعدى ذلك ليشمل الفرق اليهودية نفسها من فريسيين وصدوقيين وسامريين وأسينيين. وهذه كلها مؤشرات تنبئ بأن هذا الكتاب الذي يدعي اليهود أنه منزل من عند الله، لم يكن في يوم من الأيام موضع إجماع.

اعتبار مقاربة ابن حزم الأندلسي النقدية من أهم ما كُتب في نقد التوراة عموما، وسفر التكوين على وجه الخصوص وتوظيفه للعديد من المناهج كالمنهج التاريخي والنقد النصي ونظرية المصادر. وتأثير ابن حزم في المدرسة الغربية في نقد التوراة والكتاب المقدس عن طريق أبراهام بن عزره ([[32]](#footnote-32)).

من هنا وجب التأكيد على أن النقد الإسلامي المبكر والممثل في الإمام ابن حزم اعتمد على المنهجية العلمية المحايدة، وهذ ثابت على الرغم من عدم دراية ابن حزم باللغة العبرية ولا بأي لغة من اللغات السامية التي كانت معروفة في عهده، ولم يُدرك ميلاد الكثير من التخصصات العلمية التي ظهرت لأول مرة في القرون الأخيرة، ولا علم له بالتحولات الكبرى التي ستعرفها تخصصات علمية أخرى.

بعبارة أخرى إن الخلفية الفكرية والثقافية والسياسية التي أحاطت بتأليف (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لا تماثل لا من قريب ولا من بعد ظروف نشأة علم مقارنة الأديان والدراسات الكتابية في أوروبا.إلا أن المنهجين التاريخي والفيلولوجي الذين اتبعهما ابن حزم في نقده لنصوص للتوراة، والنتائج التي انتهى إليها بشأن صحة هذه النصوص تجعل منه مؤسسا حقيقيا لعلم مقارنة الأديان ورائدا في علم نقد التوراة.

ولا يبالغ أحمد شحلان حينما يقول بأن ابن حزم استخدم في نقده هذا أفضل المناهج الفيلولوجية ([[33]](#footnote-33))، وأدق مناهج المقارنات النصية المبنية على المنطق والحساب كما نعرفها اليوم. وكثير من المراجع الحديثة التي اعتمدناها، والتي أرخت لبني إسرائيل وتناولت كتاب العهد العتيق بالنظر، اتبعت منهج ابن حزم دون أن تشير إلى ذلك، بل الأصح أن نقول دون أن تدري بذلك؛ وذلك لأن مرجعها الأساس كان سبينوزا الذي • وإن لم يشر إلى ابن حزم مباشرة ضمن مصادره • أشار إلى ابن عزره تلميذ ابن حزم الذي شاركه العلم والموطن([[34]](#footnote-34)).

### أثر ابن حزم في النقد في المناهج الغربية:

إن إرهاصات نقد روايات العهد القديم بدأت منذ فترة طويلة، وكان لابن حزم الأندلسي باعٌ طويل فيها، ثمَّ تواصلت في القرن الثاني عشر للميلاد، وفيما بعد توالت مسيرة النقد لتأخذ مناحي أكثر تطوراً، وعندما فقدت الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر، كثيراً من سلطتها الأدبية، تمكنت من تطوير نقد تاريخي حر.

إن أولى معاول الهدم في دحض روايات العهد القديم، هو ما صدر عن العالم الألماني “يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen”، ومؤيديه، عندما عكسوا الترتيب التقليدي لتأليف أسفار العهد القديم، حيث نسبوا إلى زمنٍ يلي موت موسى بعدة قرون تأليف الأسفار الخمسة الأولى خاصةً، والاختلافات التي يُشار بها إلى الله، وتكرار بعض القصص، والفروق الواضحة في اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة، مما أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، ما هي في الواقع إلاَّ نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة([[35]](#footnote-35)).

ولا ينتهي أثر الإمام ابن حزم وتأثيره في مدرسة النقد في المناهج الغربية، الأمر الذي جعل علماء العصر الحديث مثل غولد تسهير إلى اعترافهم بأنه أول من بَشَّر بعلم نقد العهد القديم الحديث، وأنه إذا كان يرجع الفضل إلى المدرسة الألمانية في أن يبرز علم نقد العهد القديم كمجال مستقل له مناهجه وطرائقه في العصر الحديث.

غير أننا لا يجب أن نغفل دور المدرسة الفرنسية في هذا المجال ودور أرنست رينان كأحد مؤسسي علم نقد العهد القديم، وقد وضع كتابًا عن الفيلسوف "ابن رشد" الذي تأثر بفلسفته، حتى لقّب هو وأتباعه بأبناء المدرسة الرشدية، كما أنه لا ينبغي لنا لأن نتجاهل جهود ابن حزم في نقده للعهد القديم التي انتقلت إلى قارة أوروبا على أيدي يهود العصر الوسيط، مع بواكير عصر النهضة عبر إسبانيا وصقلية، كما يجب أن نؤكد تأثر ابن رشد وأخذه عن ابن حزم.

عقدت الباحثة نهى كمال السيد مقارنة بين منهجي ابن حزم ورينان في نقدهما للعهد القديم، وقد رأت أن الإمام ابن حزم كان هدفه من النقد هو إظهار تحريف التوراة الأصلية، وانقطاع سند مخطوطات موسى عليه السلام الأصلية وضياعها حتى تحوَّلت في الأخير إلى مجرد نص بشري مليء بالخرافات، وصولًا إلى الحق عبر قَوْلٍ فصل، وهو أن الدين عند الله الإسلام.

ولقد كان هدف الفرنسي أرنست رينان هو التأكيد على أن أصل الروايات اليهودية كان لا دينياً بالأساس، وأنه لا وجود فعلي للوحي الموسوي، وأن الأصل، لم يكن إلا مجرد مجموعة من الأساطير والقصص الشعبية الخرافية اللا دينية التي تحولت عبر جهود أنبياء بني إسرائيل إلى نص ديني مقدس، ذلك أن غاية رينان الأخيرة هي هدم فكرة الدين من أساسها، وإحالتها إلى جمع من الأساطير، ليصبح العلم وحده هو دين الإنسانية الجديد.

غير أنه على اختلاف منطلقات الرجلين المنهجية والفكرية، إلا أن ابن حزم كان ينطلق من عقل معانق للوحي، بينما كان رينان على النقيض من ذلك؛ فقد كان ينطلق من عقل مفارق، إلا أنهما اتفقا على حقيقة واحدة هي: (أن العهد القديم كتاب محرف مليء بالتناقضات والخرافات، وأنه خضع عبر قرون طويلة للتحريف والتشويه والحذف والإضافة)([[36]](#footnote-36)).

**الفصل الثالث**

## صحة القرآن الكريم وهيمنته

**أول ما يتبادر إلى الذهن: من الذي جعل القرآن الكريم مهيمنًا على الكتب السماوية السابقة؟**

ومن البداهة أن نقول أن الله تعالى هو الذي قضى بهذا، وأنزل هذا في كتابه الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [[37]](#footnote-37)[37].

**والسؤال: ما الذي يعنيه مصطلح "الهيمنة القرآنية**"؟

روى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير الآية السابقة، قال: (المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله)، وروي عنه أيضًا أنه قال: (وَمُهَيْمِنًا أي: حاكماً على ما قبله من الكتب).

وقال قتادة: وَمُهَيْمِنًا أي: (أمينًا وشاهدًا على الكتب التي خلت قبله).

أمَّا سعيد بن جبير فقد قال: (القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب).

كما روى الطبري في تفسيره عن ابن زيد قوله: وَمُهَيْمِنًا عَلَيْه،ِ قال: (مصدقًا عليه، كل شيء أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زبور فالقرآن مصدق على ذلك، وكل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها وعلى ما حدث عنها أنه حق).

يرى الإمام ابن كثير في تفسيره أن كل هذه التعريفات متقاربة المعنى، ذلك أن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله.

كما تواترت النصوص عن سلف هذه الأمة وخلفها على أن القرآن الكريم هو المؤتمن والشاهد والحاكم على ما بين يديه من الكتب.

**والسؤال الذي يجب أن نسأله: لماذا اختص القرآن بهذه السلطة التي جعلته الأمين والشاهد والرقيب والحاكم على كل الكتب السابقة عليه؟**

**والجواب:** لأنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعث بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة: فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات ([[38]](#footnote-38)).

ولهذا أوكل الله تعالى أمر حفظ القرآن الكريم إليه فلا يجوز عليه التبديل أو التعديل أو التحريف، أو النسخ، وهو ما تقتضيه الخاتمية أي ختم الكتب السابقة، بحيث لا يعقبه كتاب يصحح ما فيه أو يستدرك عليه، وهو أيضًا ما يثبت استحقاقه بالهيمنة، وما يستوجب الصدق بما فيه، ووجوب النزول على حكمه، مما يعني أن اتهام القرآن للكتب السابقة عليه بالتزوير أو التحريف، يجعله بمنأى عنها، وأنه بريءٌ منها، ولا يمكن لأحد أن يتهمه بذات الاتهام.

قال ابن كثير: (جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً، وأميناً، وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة) ([[39]](#footnote-39)).

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ([[40]](#footnote-40)).

يقول الدكتور أحمد علي الإمام رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالسودان: (أن مفهوم هيمنة القرآن على الكتب السابقة تعني أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة بأن صدق نزولها من عند الله وحفظ الأصول التي جاءت بها دعوة الأنبياء الذين نزلت عليهم وهي دعوة التوحيد، وشهد على من آمن بها حين نزولها بأنهم ممن استجابوا لأمر الله، وعلى من كذب بأنهم ممن عصوه واستحقوا غضبه، وهو لا يزال قائما بهذا الحفظ والتصديق والشهادة).

كما أن هيمنة القرآن على الكتب تعني فيما تعني أن القرآن يملك خاصية المراجعة والرقابة لما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتبديل أو الإخفاء والإلغاء، فالقرآن بهذا يصوب التاريخ ويقوم الحاضر ويوجه المستقبل.

يقول الدكتور موريس بوكاي: (صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص مكانة خاصة بين الكتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد... ولم يتعرض النص القرآني، لأي تحريف من يوم أن أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا) ([[41]](#footnote-41)).

يجب الفهم بأن القرآن هو وحى من السماء وكذلك كل ما أتى من عند الله ، فالقرآن من عند الله و هو كلام الله من قبل كل الخلق لذلك لا إضافة و لا تعديل ولا حذف فيه. وبناء على ذلك فإن القرآن موجود قبل خلق الرسول صلى الله عليه و سلم ونتيجة لذلك فإنه من المستحيل أن يحتوى على ألفاظ الرسول صلى الله عليه و سلم أو نصائحه. إن إضافة هذه المعلومات للقرآن كان سيتعارض بوضوح مع الغرض الأساسي لوجود القرآن مقيداً سلطته ومحولاً الفكر عن ألوهيته ([[42]](#footnote-42)).

ويختلف الأمر بالنسبة للقرآن، ففور تنزيله، وأولًا بأول، كان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب، وكان الكتبة من صحبه يدونونه. إذن فالقرآن منذ البداية يتمتع بعنصري الصحة ([[43]](#footnote-43)).

والثابت أن القرآن الكريم كُتِبَ كله في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ولكنه لم يكن مجموعًا في مصحف واحد مرتب؛ إذ كان ينزل منجمًا (متفرقًا) بحسب الوقائع والحوادث التي تقع في عهد التشريع فتنزل الآيات مبينة لحكم الله تعالى، كما كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم كُتَّابًا يسجلون ما يبلغهم به النبي صلي الله عليه وسلم ويُعرفون ب• (كتبة الوحي) وقد بلغ عددهم ثلاثة وأربعين كاتبًا، وكان بعضهم منقطعًا لهذه المهمة خاصة، ومن أشهرهم:

"عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وحنظلة بن الربيع وثابت بن قيس" وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا، بيد أن أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم من قريش هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأول من كتب له من الأنصار أبي بن كعب رضي الله عنهما.

وقد دأب كتبة الوحي على تدوين آيات الله تعالى أولًا بأول التي تُملى عليهم في العُسُب (جمع عسيب، وهو جريد النخل)، واللَّخاف (جمع لَخْفَة، وهو الحجارة الرقاق)، والرَّقّاع (جمع رقعة وهيَ قطعة من الجلد أو القماش أو الورق)، وهو غالب ما كتب عليه الوحي، والأقتاب (جمع قتب، وهو قطع الأخشاب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليها الإنسان) وقطع الجلد وعظام الأكتاف، وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يرشدهم إلى الموضع المكتوب من سورته، بأن يضعوا هذه السورة بعد أو قبل تلك السورة، وأن يضعوا هذه الآية في موضعها وموضوعها من أي سورة، مثلما قال عثمان رضي الله عنه:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا" ([[44]](#footnote-44)).

**أمًا مراحل تنزيل القرآن، فكانت على النحو التالي:**

**• التنزيل الأول: صدور القرآن من الذات الإلهية إلي اللوح المحفوظ:**

وذلك أمر غيبي أزلي بطريقته وفي وقت لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وكان جملة واحدة لا مفرقًا، فوجب الإيمان به مع تفويض علم كيفيته إلي الله عز وجل.

**• التنزيل الثاني: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا:**

والدليل علي ذلك قول الله تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر﴾ ([[45]](#footnote-45))، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ ([[46]](#footnote-46))، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ([[47]](#footnote-47)).

ويفهم من تلك الآيات أنه أنزل في ليلة واحدة، وقد جاءت الآيات والأخبار الصحيحة معينة لمكان هذا النزول وأنه بيت العزة من السماء الدنيا، وأن جبريل عليه السلام كان ينزل به على النبي صلي الله عليه وسلم.

**• التنزيل الثالث: نزول القرآن على قلب النبي صلي الله عليه وسلم:**

نزل به الوحي الأمين جبريل عليه السلام، وكان ينزل مفرقًا حسب الحوادث والأحوال حسب مشيئة الله تعالى فيوحي به إلي النبي صلي الله عليه وسلم، حيث كان الله عز وجل يجمعه له في صدره وينطقه علي لسانه صلي الله عليه وسلم، وقد دام هذا التنزيل ثلاثة وعشرين سنة، حيث ابتدأ الوحي بالآيات الأولي وانتهى بآخر ما نزل من القرآن قبل وفاته صلي الله عليه وسلم، وكان أول ما نزل من القرآن الكريم علي وجه الإطلاق الخمس آيات الأولي من سورة العلق ثم فَتر الوحي، ثم نزلت الخمس آيات الأولى من سورة المدثر، وهناك آيات يقال فيها أول ما نزل ، والمراد ما نزل باعتبار شيء معين فتكون أولية مقيدة.

ولقد عرض أمين الوحي جبريل عليه السلام القرآن الكريم مرتين علي الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته. فمن الحقائق الثابتة أن طريق تَلَقِّى القرآن كان هو السماع الصوتي:

• سماع صوتي من جبريل لمحمد عليهما السلام.

• وسماع صوتي من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كتبة الوحي أولًا وإلى المسلمين عامة.

• ثم سماع صوتي من كتبة الوحي رضوان الله عليهم إلى الذين سمعوه منهم من عامة المسلمين.

- وسماع صوتي حتى الآن من حفظة القرآن المتقنين إلى من يتعلمونه منهم من أفراد المسلمين.

يقول الإمام ابن حزم في الإحكام: (ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا والذي ألزمنا الإقرار به والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف المشهورة في الآفاق كلها وجب الانقياد لما فيه فكان هو الأصل المرجوع إليه لأننا وجدنا فيه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ([[48]](#footnote-48))، فما في القرآن من أمر أو نهي فواجب الوقوف عنده).

**الباب الثاني**

## خلق الكون والإنسان في سفر التكوين والقرآن الكريم

**خلق الكون في سفر التكوين**

**خلق الكون في القرآن الكريم**

**خلق الإنسان بين سفر التكوين والقرآن الكريم**

**الفصل الأول**

## خلق الكون في سفر التكوين

يقَسَّم أحبار الدين اليهودي الأسبوع في الإصحاح الأول من سفر التكوين "خلق الكون" إلى ستة أيام تبدأ من يوم الأحد لتنتهي في يوم الجمعة، وأما يوم السبت فهو يوم راحة الإله بعد فراغه من عملية الخلق.

وبحسب النص التوراتي من التكوين، اختص الله يوم الأحد بخلق النهار والليل، والظلمات والنور، أما يوم الأثنين فقد اختصه الله بخلق السماء التي كانت على هيئة جلد من فوقها ماء ومن تحتها ماء: (وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا) ([[49]](#footnote-49)).

هذه هي الآيات التوراتية التي تصور قصة الخلق خلال الأيام الستة:

"1 فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. 2 وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. 3وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. 4وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. 5وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا".

6" وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ. 7 فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. 8 وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا".

9" وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. 10وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 11وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. 12فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 13 وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا".

"14 وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. 15 وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. 16فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. 17وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، 18وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 19وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا".

" 20وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ».21 فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحيَّةِ الدَّبَّابَةِ الْتِى فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 22وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: «أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». 23وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا".

24وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. 25فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 26 وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». 27فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. 28 وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». 29وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. 30وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ. 31وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.

لم ينشأ الاختلاف في تعارض الإصحاح الأول مع الإصحاح الثاني في سفر التكوين داخل معسكر الدين الإسلامي، كما لم ينشأ اختلاف الآراء حول ماهية أيام الخلق الستة في نفس السفر من كونها ستة أيام حرفية كما اعتاد الناس أن يعرفوا اليوم بمفهومهم عنه بأنه يتكون من 24 ساعة، أو أن تلك الأيام ليست حرفية إنما حقب زمنية لا نعلم مقدارها.

وسنناقش الآن قضية اليوم والحقبة بين فريقين متعارضين داخل القطاع المسيحي ذاته كما عرضها الباحث اللاهوتي جوزيف أنطون ([[50]](#footnote-50))، وسنرجئ قضية تعارض الإصحاح الأول والثاني عندما نتعرض لقصة خلق الإنسان في التكوين والقرآن، كالتالي:

**• أدلة الفريق الذي يؤمن بحرفية اليوم:**

**• الدليل الأول: نص سفر التكوين:**

يأتي الدليل الأول من نصوص كثيرة يضمها سفر التكوين ويكمن أشهرها في "ودعا الله النور نهارًا، والظلمة دعاها ليلًا. وكان مساء وكان صباح يومًا واحدًا"([[51]](#footnote-51)).

**• الدليل الثاني: اقتران اليوم بالعدد:**

يرى أنصار حرفية اليوم بسفر التكوين أن اقتران "العدد الترتيبي" بكلمة "يوم" فهذا يمثل دلالة واضحة وأكيدة على المفهوم الشائع لكلمة اليوم بمبناها ومعناها التي تعني 24 ساعة([[52]](#footnote-52)).

**• الدليل الثالث: دلالة اليوم بين المجاز والحقيقة:**

يستند الفريق المناصر لحرفية اليوم بسفر التكوين، إلى أنه طالما لم يشر كاتب السفر إلى مجازية أو حقيقية كلمة اليوم من حيث كونها تشير إلى فترة زمنية ما تفارق المفهوم الشائع عن اليوم العادي الذي يتكون من 24 ساعة، فذلك ليس له من معنى واحد يساير السياق العام من تأكيده على حرفية الأيام الست في مضمونها الكلي، وهو ما يتوافق تمامًا عن المفهوم المستقر من أن الله استراح في اليوم السابع وهي ما تأتي متوافقة تمامًا مع ترتيب الأيام وفقًا للمذكور في سفر الخروج: "لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" ([[53]](#footnote-53)).

**• الدليل الرابع: اليوم بمفهوم البداية والانتهاء:**

لا شك أن عبارة "كان مساء وكان صباح"، من شأنها تحديد اليوم كما نفهمه الآن، خاصةً بعد أن أخذت الشمس وضعها في اليوم الرابع، فالمساء والصباح المحددين بالنظام الكوني وخلق الشمس في اليوم الرابع هما المساء والصباح الذين ذكرهما النص في اليوم الأول قبل خلق الله للشمس.

**• الدليل الخامس: حاجة النبات للشمس وترتيب الأيام:**

يدلل الفريق المناصر على حرفية الأيام الست بأنه من الصعب أن يكون اليوم الثالث حقبة تزيد عن 24 ساعة لأنه اليوم الذي خلق الله فيه النباتات التي تحتاج للشمس لكي تتمكن من الحياة، والشمس نفسها خلقت بعدها في اليوم الرابع. فلو كان اليوم الثالث حقبة من الزمن لهلكت النباتات لعدم وجود الشمس لمدة هذه الحقبة أيًا كانت.

**• أدلة الفريق الذي يؤمن بستة أيام كحقب زمنية:**

تأتي أدلة هذا الفريق في أساسها تفنيد لآراء الفريق المناصر لحرفية الأيام الست، ذلك أنهم يرون أن أيام الخليقة الستة لا تعني أن يكون اليوم الواحد مكون من 24 ساعة، بل حقب زمنية أطول من مجرد يوم قد تصل إلى آلاف أو ملايين السنين، وأن القول بحرفية أيام الخلق أيامًا بنفس المعنى ليس إلا اجتهاد في تفسير المفسرين ولا يصلح لأن يكون قاعدة عامة.

والشواهد على هذا كثيرة من الكتاب عندهم، حيث أتت كلمة "اليوم" بمعان تدور حول كونها فترة زمنية، مثل: "القديم الأيام"، "يوم هلاكهم"، "يوم الحرب"، "يوم البوار".

كما يفند أصحاب رأي الحقب الزمنية رأي من رأوا بحرفية أيام الخلق في قولهم بتطابق هذه الأيام في سفر الخروج مع معنى الأيام في سفر التكوين ، ويسألونهم بداهة: لماذا لا يوجد تطابق بين الأيام في التكوين والسنين في الخروج وبين يوم الراحة في التكوين وسنة السبت في الخروج؟ ولهذا فهم يعزون هذا التطابق من خلال استنتاجهم، أن اليوم كان عبارة عن سنة.

ويرى أصحاب رأي أن الأيام حقبة زمنية أن اعتماد الفريق المناصر للحرفية على عبارة "كان مساء وكان صباح" المستخدمة في النص لا يمكن التعويل عليه عليها في إثبات حرفية الستة أيام، وهو ما يعني أن الأيام الثلاثة الأولى، التي سبقت خلق الشمس والقمر ليست شبيهة بأيامنا التي يتحدد طولها بدوران الأرض حول محورها وأمام الشمس.

### رأي الدكتور موريس بوكاي في "يوم" التكوين:

لا يرى الدكتور موريس بوكاي أن رواية التوراة واضحة وضوحًا لا يخلق حوله أي خلاف أو انقسام رأي؛ فتمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم الراحة، يوم السبت، وذلك جريًا على أن عدد أيام الأسبوع سبعة أيام، وعلى هذا يقرر بوكاي: (إن كلمة "يوم" كما يفهم من التوراة تعرف المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين متواليين وذلك بالنسبة لسكان الأرض. إن اليوم، وقد تحدد بهذا المعنى، يرتبط وظيفيًا بدوران الأرض حول نفسها. وواضح تمامًا أنه من المستحيل منطقيًا أن نتحدث عن "الأيام"، بهذا المعنى الذي تحدد، على حين أن العملية المركبة التي ستؤدي إلى ظهورها، أي وجود الأرض ودورانها حول الشمس، لم تكن قد أنشئت بعد عند أولى مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة) ([[54]](#footnote-54)).

ويفهم من كلام بوكاي أن الخلاف المفتعل بين من يرى بحرفية أيام الخلق الستة، أو بكونها حقبة زمنية، خلاف متهافت، وهو من وجهة نظري ليس إلا محاولة متأخرة لترقيع ثوب النص بتفسير يأتي من خارجه متأخر عنه كمحاولة للخروج من ذلك التخبط والتناقض الواقع فيه سفر التكوين، ومحاولة تأتي في إطار العلمية الوهمية على نص سقط بالضربة الأولى أمام كافة الأدلة العلمية من داخل المعسكر المؤمن به والمنكر له على السواء.

ولكن لماذا تيقن بوكاي من كونه لا يعني يوم الخلق سوي اليوم المعروف غير الدليل الذي ساقه في نهاية قوله؟

والجواب يأتي من جملة قالها تعقيبًا على مقولته: (لقد أشرنا إلى هذه الاستحالة في الجزء الأول من هذا الكتاب)، ويقصد بها مناقشته المستفيضة التي أدارها حول العهد القديم، والأسفار الخمسة، وكم كان سؤاله الأول مباغتًا حول من الذي ألف العهد القديم، لينتهي بعد استعراضه التاريخي المقترن بالقرون والزمان في تسلسل زمني موثق بالمصادر والأقوال إلى: بهذا تتضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلى العهد القديم، وبهذا أيضًا يتبين للقارئ التحولات التي أصابت نص العهد القديم الأول من نقل إلى نقل آخر ومن ترجمة إلى أخرى، بكل ما ينجم حتمًا عن ذلك من تصحيحات، جاءت على أكثر من ألفي عام) ([[55]](#footnote-55)).

يناقش بوكاي الرواية الأولى عن الخلق الواردة في الإصحاح الأول والآيات الأولى من الإصحاح الثاني، ويرى أنها بناء يتكون من أخطاء من وجهة النظر العلمية، ولهذا عمد إلى نقد فقراتها من حيث ظهور المياه في الآيتين الأولى والثانية في مرحلة ما قبل خلق الأرض والكون كله غارقًا في الظلمات مما يؤكد أن القول بوجود الماء في تلك المرحلة "غلط".

وحينما يتعرض بوكاي لوجود الضوء في الآيات من الثالثة إلى الخامسة، يرى أن النجوم لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة كما يذكرها سفر التكوين، وأن ذكرها سيأتي لاحقًا في الآية الرابعة عشر من نفس السفر باعتبار ما خلق الله في اليوم الرابع ليفصل بين النهار والليل لكي ينير الأرض وهو صحيح تمامًا ولكنه مخالف لمنطقية ترتيب الأمور حيث تسبق النتيجة المقدمة في الذكر؛ فقد ذكر كاتب السفر النور في اليوم الأول على حين ذكر الوسيلة، أي وسيلة إنتاج النور، في اليوم الرابع!

يرفض بوكاي تمامًا عند استعراضه للآيات من السادسة إلى الثالثة عشر والخاصة بالماء والإنبات أن يكون هناك عالم نباتي ينتظم جيدًا بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس، وكذلك انتظام تعاقب الليل والنهار في تلك الفترة فذلك ما لا يمكن مطلقًا قبوله أو أن يقوله أحد.

ليس هذا فحسب هو ما يثير اعتراض بوكاي مما أسلفنا ذكره من قراءته العلمية الناقدة لما ورد بسفر التكوين بل يرى أن سفر التكوين لم يشر في آياته إلى الحيوانات الأرضية إلا في اليوم السادس بعد ظهور الطيور، وهو ما يجعله يجزم بأن نظام ظهور الحيوانات الأرضية والطيور هذا غير مقبول.

بعد استعراض الدكتور موريس بوكاي لقصة الخلق خلال الأيام الستة، يصدر حكمه في النهاية ليقول: (إن هذه الرواية اليهودية لا تشير إلى تشكل الأرض بشكل واضح وخاص ولا إلى تشكل السماء. إنه يدع للفهم الضمني أن عند خلق الله للإنسان لم تكن هناك نباتات أرضية "فلم يكن المطر قد نزل بعد"، هذا برغم أن المياه الآتية من العمق كانت تغطي سطح الأرض. وتؤكد هذا البقية التالية للنص: زرع الله بستانًا في نفس الوقت الذي خلق فيه الإنسان. وهكذا يظهر عالم النبات في نفس وقت ظهور الإنسان على الأرض، وهذا علميًا خطأ: فقد ظهر الإنسان على الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة للنباتات، وإن كنا لا نستطيع أن نقول كم من مئات ملايين السنوات قد مرت بين الحدثين) ([[56]](#footnote-56)).

### الدفاع الكنسي عن الخلق في سفر التكوين:

يحاول من يشرحون الكتاب المقدس في عهده القديم وخاصة سفر التكوين وقصة الخلق الواردة فيه أن يضعوا التبريرات للدفاع عن المخالفات العلمية، ولهذا يبدأون بوضع السؤال قبل أن يباغتهم به أحد:

**[لماذا نجد روايتين مختلفتين عن قصة الخلق في سفر التكوين، الإصحاحين الأول والثاني؟]**

وتأتي إجابتهم بأن سفر التكوين يقول: "في البدء خلق الله السماوات والأرض". وبعد ذلك "يبدو" أنه تبدأ قصة أخرى عن الخلق في تكوين 2: 4!

ولا يتورع من يجيب بأن يصف من يقول بوجود قصتين مختلفتين عن الخلق بأنه خطأ شائع في تفسير هذين الجزئين....لماذا؟ "وهذا سؤالنا له:

فيجيب: لأنه هذين الجزئين في الواقع وصفان لنفس قصة الخلق. فهما لا يختلفان حول ترتيب الخلق ولا يناقض أحدهما الآخر. يصف سفر التكوين في الإصحاح الأول "ستة أيام الخلق" (واليوم السابع هو راحة)، بينما يصف الإصحاح الثاني من سفر التكوين يوم واحد فقط من أسبوع الخلق ذاك • وهو اليوم السادس • ولا يوجد أي تناقض بين الروايتين؛ ففي سفر التكوين الإصحاح الثاني، يرجع "الكاتب" إلى الوراء في الترتيب الزمني إلى اليوم السادس، حين خلق الله الإنسان. في الإصحاح الأول يقدم الكاتب خلق الإنسان في اليوم السادس على أنه نقطة اكتمال عملية الخلق. ثم في الإصحاح الثاني يقدم الكاتب تفصيلاً أكبر لعملية خلق الإنسان.

وهناك محاولة كنسية ،غير جيدة ، عن التناقض القائم بين الإصحاح الأول والثاني من سفر التكوين، خاصة فيما يختص بحياة النباتات؛ فسفر التكوين (1: 11) يذكر أن الله خلق النباتات والزرع في اليوم الثالث، بينما وفي تكوين (2: 5) يقول أنه قبل خلق الإنسان "كل شجر البرية لم يكن بعد وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض.

إذًا أي منهما القصة الصحيحة؟ هل خلق الله النباتات في اليوم الثالث قبل أن يخلق الإنسان (تكوين 1)، أم بعد خلق الإنسان (تكوين 2)؟

ويجيب: إن الكلمة العبرية التي تعني "نباتات" مختلفة في هذين الموضعين. يستخدم تكوين (1: 11) كلمة تشير إلى النبات بصورة عامة. أما تكوين (5:2) فيستخدم كلمة أكثر تحديداً إذ تشير إلى النباتات التي تتطلب فلاحة ووجود شخص ليعتني بها، أي مزارع. فالموضعين الكتابيين لا يتناقضان مع بعضهما. يتكلم تكوين(1: 11) عن خلق الله للنباتات، وتكوين (5:2) يقول أن الله لم يجعل النباتات "التي تحتاج إلى مزارع" تنمو إلا بعد أن خلق الإنسان.

كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان إنسان ليعمل في الأرض، هي تكرار لليوم الثالث وهي لا تعني أن الله بدأ خلق النبات في هذا الوقت، لأن الآن كانت الأرض قد اكتملت، وهذه الآية قد ذكرت هنا لتشير أن الله خلق النبات، لأجل آدم حبيبه ليكون له طعامًا، وهو خلق النبات من أرض كانت خربة وخالية، هذه الآية مراجعة لليوم الثالث تتمشى مع فكرة الإصحاح الثاني أن الله أعد كل شيء للإنسان ([[57]](#footnote-57)).

ونفس الأمر في التناقض القائم بخلق الحيوانات، حيث يذكر تكوين (1: 24-25) أن الله خلق الحيوانات في اليوم السادس قبل أن يخلق الإنسان، وفي تكوين (2: 19) يذكر أن الله خلق الحيوانات بعد أن خلق الإنسان.

يحاول المصدر الكنسي مبررًا بأن الترجمة الجيدة المعتمدة لما جاء في تكوين (2: 19-20)، تقول: "وكان الرب الإله قد جبل من التراب كل وحوش البرية و طيور الفضاء وأحضرها إلى آدم ليرى بأي أسماء يدعوها، فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حي اسماً له. وهكذا أطلق آدم أسماء على كل الطيور والحيوانات والبهائم". لا يقول هذا النص أن الله خلق الإنسان ثم خلق الحيوانات ثم أحضر الحيوانات إلى آدم. بل بالحري يقول النص: "وكان الرب الإله قد جبل (قبل أن يخلق الإنسان) كل وحوش البرية..." فليس هناك أي تناقض كما نرى. في اليوم السادس خلق الله الحيوانات ثم خلق الإنسان ثم أحضر الحيوانات إلى الإنسان وسمح للإنسان أن يطلق أسماء على الحيوانات.

ويرى المصدر الكنسي: أن من يفسر آيات سفر التكوين بأننا عندما ندرس روايتي الخلق كل منهما على حدة ثم نجمعهما معًا نرى أن الله يصف ترتيب الخلق في "تكوين 1"، ثم يقوم بتوضيح أهم التفاصيل، خاصة المتعلقة باليوم السادس في "تكوين2". فلا يوجد أي تناقض هنا، بل هو مجرد وسيلة أدبية لوصف حدث بدأ من العام إلى الخاص.

لم ينتهِ الموقف الكنسي عند حد إبطال التناقض أو دحضه • كما يتصورون • أو نفيه تمامًا بل ينفون العلاقة الواهية بين العلم والدين بأن لرجال الدين عملهم، ولرجال العلم عملهم، وأن ليس لأحدهم أن يتدخل في عمل الآخر، وأنه ليس هناك صراع قائم بين العلم والدين، وإنما بين الفلسفة الطبيعية وبين رجال الدين، كالاختلاف حول تفسير أصل الأنواع، وتقدير عمر الإنسان على الأرض، فهو اختلاف حول فروض علمية وليس حول حقائق علمية، وأنه ليس هناك صرع بين العلم والدين بل مصالحة!

كما ينشرون في كتبهم الكنسية: أن الكتاب المقدس كتاب إلهي ملتزم بالتعاليم الروحية والدينية فقط، فهو ليس كتاب علم ولا يلتزم بأية إيضاحات علمية، ولكن حوى الكثير من الحقائق العلمية وإن كانت بأسلوب بسيط يفهمه كل الناس في كل العصور.

وعندما تسأل لماذا تعرض سفر التكوين لقصة الخلق إذن؟

يجيبونك: أن غاية الوحي الإلهي من الحديث عن الخلق هو تصحيح الأفكار الخاطئة التي تسربت إلى إسرائيل في هذا الشأن من العبادات الوثنية المصرية، وأن عمل الكنيسة ليس دراسة طبيعة المخلوقات دراسة عقلية فلسفية وإنما النظر في أعمالها ونفعها فقط.

ويخلص المصدر الكنسي بعد أن أقام هذه الصيغة التوافقية، من وجهة نظره بالطبع، يطالب كل مسيحي مؤمن باحترام العلم والدين وأن لا يتخذ موقفًا سلبيًا من العلم، لأنه يقدم لنا كل يوم شيئًا جديدًا نافعًا: الحق هو الحق، والحقيقة هي الحقيقة سواء توصل إليها علميًا إنسان مؤمن أو غير مؤمن، وأن الله هو الخالق، ولا يمكن أن يتعارض عمله في الطبيعة مع كلامه في الكتاب المقدس، فعلينا أن نقدم الاحترام اللائق لكل من العلم والكتاب المقدس!

سرعان ما ينتبه قائل هذا الكلام المرسل المعسول وهو جورج صامويل، ويعلم يقينًا أن التناقض والتعارض لابد سيحدث بين الطبيعة وكلام الله في الكتاب المقدس، أو بين العلم وما جاء في سفر التكوين، فيتحفظ، ويخرج عن إهاب رجل التسامح والمصالحة بين العلم والدين، ليركل العلم بعيدًا بقدمه عند التعارض مع الدين، ولو كان للعلم وجاهته، فيقول: (ولكن علينا ألا نعرف الإيمان المسيحي باستخدام وجهة نظر زائلة من عالم العلم أو أي تيار مدرسي لنظرية علمية كما لا ينبغي أن نجبر السجل الكتابي أن يتحدث بتفاصيل عن أشياء ليست هي الغرض الحقيقي منه!).

وإذا كانت هذه الأشياء هي الغرض الحقيقي منه فلما ذكرها؟! وما حاجة الكنيسة للاستشهاد بالعلم إذا لم يكن سفرها، أي سفر التكوين، والكتاب المقدس ليس كتاب علم، وإذا كان ذكر قصة الخليقة لتعديل مسار فرعوني خاطئ مدسوس في مفهوم هذه القصة، فلماذا لم يوضح كاتب السفر أن هذا الكلام موجه فقط للمصريين القدماء في عصرهم ولا يلزم غيرهم؟!

وإذا كان هناك مصالحة بين العلم والدين فلماذا قامت العلمانية وهي ثورة على الكنيسة التي طغت ومارست اضطهادًا وصل إلى حد الإعدام وغيره بكثير في حق علماء ثاروا على الثوابت التي قام عليها الكتاب المقدس واعتمدته الكنيسة، غير أن هذا ليس موضوع حديثنا، وإن كانت الإشارة إليه واجبة في معرض الكلام المرسل والرومنسي عن المصالحة العلمية الدينية بين ما يقوله العلم والكتاب المقدس، وهو تحريف جديد نضيفه لمن اعتادوه، وهو أكبر وأسطع من قرص الشمس في رابعة النهار بحيث لا يخفى على أحد، ويفند بل يفضح أصول تلك المصالحة المزعومة بين الدين والعلم في الغرب أي بين الكتاب المقدس والعصر الحديث.... فما كانت العلمانية، وفصل الدين عن الدولة، وعز الكنيسة عن مجريات الحياة، واقتصارها فقط على أمور الدين الرعوية والخدمية وغيرها دون الاقتراب من العلم، أو فرض رؤية لاهوتية توراتية على مخرجاته في العصر الحديث؟!

**الفصل الثاني**

## خلق الكون في القرآن الكريم

يتعرض القرآن الكريم، لكونه آخر الكتب السماوية المنزلة والمعجزة الخالدة الباقية، للكثير من الظواهر الطبيعية التي لفت فيها أنظار الإنسان لكي يجيل فيه نظره وعقله، لذا فقد تناولت آياته الكريمة خلق الكون؛ فأشارت إلى أن نشوئه ونهايته ستحمل مشابهة بينهما اتفاقًا مع من يتفق مع نظرية الانفجار العظيم.

ولقد جاءت الحقائق العلمية في تأييدها إلى ما أتت به الآيات القرآنية من إعجاز ومغيبات في الوقت الذي كان علم الفلك والطبيعيات لم يظهرا بعد، ولقد تناول الرسول صلى الله عليه وسلم عبر الكثير من الأحاديث الصحيحة حول الكون مثلما هو ثابت في علوم الفلك والأرض، كما تناول خلق الإنسان عبر مراحله، كما تعرض لعلامات نهاية الحياة على الأرض، وهو ما يعكس اتفاقًا تامًا داخل المنظومة الإسلامية الأساسية التي يرتكز عليها بناء الدين في أصله الأول، وهو القرآن الكريم، وفي أصله الثاني، وهي السنة المطهرة، مما ينفي وجود أية تضارب أو تعارض بين نصوص القرآن الكريم ذاتها، وبينها وبين نصوص الأحاديث الشريفة الصحيحة المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

### خلق السموات و الأرض في ستة أيام:

تبلغ الآيات في كتاب الله تعالى التي تتناول الكون بما فيه من سماوات وأرض أكثر من ألف آية من مجموع آياته تلك التي استشهد فيها الله تعالى بقدرته على خلق كل شيء وعلمه بكل شيء وحكمته العالية من وراء خلق الكون وخلق الإنسان، وحين تتعرض تلك الآيات إلى خلق الشمس أو الأرض لا تفصلهما عن بعضهما في التناول بل تجمعهما في الإطار الزماني لخلق الكون والإنسان معًا بحسب الترتيب الوارد في آيات الخلق بالقرآن الكريم.

يقول الله عز وجل: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) ([[58]](#footnote-58)).

وتأتي هذه الآية تفصيلًا لما ورد إجمالًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾([[59]](#footnote-59)). وفيها أن خلق السماوات والأرض قد استغرق ستة أيام، ففصل هنا ما يختص بالأرض وحدها دون السماء، فجاء بذكر الأرض في أولية خلقها، لأنها الأساس وهو الأصل في البدء، ثم يأتي بعده بالسقف وهي السماء ([[60]](#footnote-60)).

تشير الآيات الكريمات السابقات إلى حقائق كونية ثلاث:

الحقيقة الأولى: أن الله تعالى خلق الأرض قبل أن يخلق السماء وقدَّرَ فيها الأقوات في أربعة أيام.

الحقيقة الثانية: أن الأصل الذي خلق الله منه الكون هو الدخان "غازات فيها مواد صلبة وحارة".

الحقيقة الثالثة: أن الدورات التي تكونت خلالها السماء والأرض في ستة أيام([[61]](#footnote-61)).

وتؤكد الآيات القرآنية ما جاء بالحقيقة الثالثة، حيث جاء خلق السموات والأرض في مواضع سبعة من القرآن الكريم إلى أن خلق الأرضَ والسماوات في ستة أيام القرآن الكريم، بقوله تعالى:

• ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ([[62]](#footnote-62)).

• ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾([[63]](#footnote-63)).

• ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ([[64]](#footnote-64)).

• ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾([[65]](#footnote-65)).

• ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ([[66]](#footnote-66)).

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾([[67]](#footnote-67)).

• ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾([[68]](#footnote-68)).

لاشك أن هناك حكمة إلهية كامنة اقتضت هذا التدرج في عملية الخلق للسماوات والأمر وأن الأمر كان هينًا على الله أن يخلقهما معًا في لحظة واحدة ، ويكمن السر في أنه:

(جعل العوالم متولدًا بعضها من بعض، لتكون أتقن صنعًا مما لو خلقت دفعة، وليكون هذا الخلق مظهرًا لصفتي علم الله تعالى وقدرته، فالقدرة صالحة لخلقها دفعة، لكن العلم والحكمة اقتضيا هذا التدرج، وكانت تلك المدة أقل زمن يحصل فيه المراد من التولد بعظيم القدرة، ولعل تكرر ذكر هذه الأيام في آيات كثيرة لقصد التنبيه إلى هذه النكتة البديعة، من كونها مظهر سعة العلم وسعة القدرة) ([[69]](#footnote-69)).

ومن المؤكد أن القرآن الكريم لا يقصد الأيام بترتيبها النسقي الذي تعارف عليه الناس داخل الأسبوع تمامًا كالنسق الذي اعتمده سفر التكوين، ذلك أن "اليوم" مقصود به المدة أو الفترة أو العصر، وهو ما نستطيع أن نجد ما يقابله بالعصور الجيولوجية لخلق الكون وهي ما تأتي متوافقة مع المفهوم العلمي تمامًا وظاهر الآيات أن الأيام هي المعروفة للناس، التي هي جمع اليوم الذي هو مدة تقدر من مبدأ ظهور الشمس في المشرق إلى ظهورها في ذلك المكان ثانية ، وعلى هذا التفسير فالتقدير في ما يماثل تلك المدة ست مرات ، لأن حقيقة اليوم بهذا المعنى لم تتحقق إلا بعد تمام خلق السماء والأرض، ليمكن ظهور نور الشمس على نصف الكرة الأرضية وظهور الظلمة على ذلك النصف إلى ظهور الشمس مرة ثانية ([[70]](#footnote-70)).

غير أن النص التوراتي في سفر التكوين يأتي مناهضًا ومخالفًا للتصور القرآني، بل مختلفًا أيضًا مع المفهوم العلمي، وهذا اللبس الذي وقع فيه بعض علماء المسلمين وظنوا باتفاق النصين على ذكر الأيام الست، ولكن المفهوم اللغوي والعلمي متباينان جدًا، مثلما تباين مفهوم "راحة الرب" في نص سفر التكوين مع نفي القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

وقد نشأ خلافًا بين أصحاب التفاسير حول مقدار اليوم الذي ورد ذكره في الآيات وما المراد بمدته، ولابد أن يكون هناك خلافًا بين اليوم الذي تعارف عليه الناس بعد خلق الله للسماوات والأرض وهو الذي يشمل أوقات الصلاة الخمس، وبين اليوم الذي يقع في مراد الله تعالى والمقصود منه.

وقد قيل: إن الأيام هنا جمع اليوم من أيام الله تعالى الذي هو مدة ألف سنة ، فستة أيام عبارة عن ستة آلاف من السنين ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾.

وقيل المراد: في ستة أوقات، ومقصود هذا القول أن السماوات والأرض خلقت عالما بعد عالم ولم يشترك جميعها في أوقات تكوينها. ومن هنا كان مقدار اليوم الذي في علمه تعالى يقاس على ما ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في الآيات الكريمات:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ([[71]](#footnote-71)).

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾([[72]](#footnote-72)).

وهو ما يعني بنسبية الزمان والشعور الإنساني بنسبيته ومرده للوهم الكامن بمدته مع كونها تمتد طولًا وقصرًا، بما يعني انتفاء وجوده وتشرذمه بين الماضي والحاضر والمستقبل ليستقر في النفوس أن اليوم القرآني هو مدة زمنية تستمد وجودها النسبي من ارتباطها بالمكان والسرعة، وهو التوقيت اليقيني الصحيح الذي يستمد مصداقيته من المصدرية الإلهية النابع منها بحسب مقصود الله ومراده الذي يجعل مدة اليوم بحسب إنشاءه له بتغير مفهومه في الدنيا عن مفهومه في الآخرة عن مفهومه يوم القيامة، ليبقى خلق الله تعالى للكون في ستة أيام أمر يختص بالذات العلية وحدها دون سواه([[73]](#footnote-73)). مصداقًا لقوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ ([[74]](#footnote-74)).

غير أن الشيخ الطاهر بن عاشور، يحسم الخلاف في "التحرير والتنوير"، فيقول: (وأيًا ما كان فالأيام مراد بها مقادير لا الأيام التي واحدها يوم الذي هو من طلوع الشمس إلى غروبها إذ لم تكن شمس في بعض تلك المدة ، والتعمق في البحث في هذا خروج عن غرض القرآن).

### خلق السموات والأرض وترتيبهما في القرآن الكريم في ستة أو ثمانية أيام:

خلق الله تعالى الكون في توازن ونسق لا يعرف التضاد بل الاتساق، فالإسلام دين ودنيا، عقيدة وشريعة، بدن وروح، موت وحياة، سماوات وأرض، وهو ما يؤكده أن آيات الله تعالى محكمة تتسم بالتسامي في المعاني والألفاظ، بعيدة كل البعد عن التضاد أو التناقض، ذلك أن كتاب الله هو الكتاب الناطق بالحق، المخبر بالحكمة، لا يعرف التعارض ولا الاختلاف، أو التهافت أو الاضطراب، ومن هنا لا محل من القول أنه وردّ من بين آيات القرآن آيات تنطق أن خلق الأرض تقدم خلق السموات، وأن خلقهما استغرق ثمانية أيام، وآيات تنطق أن خلق السموات تقدّم خلق الأرض، وأن خلقهما استغرق ستة أيام، مع كون مدار الأمر • كما أسلفنا • مختلف حول مفهوم اليوم ومقداره.

حين ذكرت سورة فصلت قصة الخلق في آياتها: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾([[75]](#footnote-75)).

غلب الظن على بعض الناس أمرين:

• أولهما: أن الله تعالى قد خلق الأرض أولًا ثم خلق السماء بعدها.

• ثانيهما: أن الله خلق السموات والأرض في ثمانية أيام بدلالة هذه الآيات نجد أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأنه: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ثم إضافتها وجمعها مع قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ فيكون المجموع ستة أيام، إذا أضيف إلى المجموع السابق قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يصبح المجموع الكلي لأيام الخلق ثمانية أيام.

أما أمر ترتيب خلق الله تعالى للأرض أم السماء، فالشائع عند أكثر المسلمين أن الأرض كانت أسبق في الوجود والخلق قبل خلق السماء، غير أن هناك من يرى أن خلق السماء هو الأسبق من خلق الأرض ولم يقل بهذا الرأي سوى قتادة ونقل رأيه ابن جرير.

تؤيد الآيات الواردة في سورة النازعات رأي قتادة ومن قال بقوله بخلق السماء قبل الأرض، حيث ذكر الله تعالى خلق السماء وما يتعلق بها، ثم ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها، ثم أردف ذلك بقوله: "والأرض بعد ذلك دحاها" أي: بعد أن خلق السماء وما يتعلق بها دحا الأرض وبسطها. ومن يأخذ قراءة آيات القرآن الكريم بظاهر المعنى والمبنى يجدها تحتمل الأمرين معًا، ذلك أن كل الآيات التي تتعلق بخلق السماوات والأرض، جاء ذكر السماء قبل الأرض فيها، ولم يذكر سبق وتقدم خلق الأرض إلا في الآيات الواردة من سورة فصلت، وقد أفادت (ثم) الواردة في الآية أنها تمهيد للترتيب الحادث في خطوات الخلق أي بعد الفراغ من ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها.

إن القرآن يتطابق مئة بالمئة مع العلم الحديث في تسلسل الخلق! فالآيات التي تحدثت عن خلق السموات والأرض يأتي ذكر السموات ثم الأرض غالبًا، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ([[76]](#footnote-76))، ذكر السموات قبل الأرض. كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾([[77]](#footnote-77)).

كذلك يأتي ذكر السموات ثم الأرض، كذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ([[78]](#footnote-78)). وقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾([[79]](#footnote-79))، (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) ([[80]](#footnote-80)).

حتى عندما يتحدث عن بداية خلق السموات والأرض نجد القاعدة ذاتها تتكرر: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾([[81]](#footnote-81)). أي أن الله هو من بدأ خلق السموات والأرض إلا آية واحدة: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ﴾ ([[82]](#footnote-82)). ذكرت الأرض قبل السماء، ولكن واو العطف هنا لا تدل على الترتيب أو التسلسل، على عكس كلمة (ثم) التي تدل على الترتيب والتسلسل.

أما الآيات في سورة فصلت فقد ذكرت خلق الأرض في قوله تعالى في الآية التاسعة من السورة حيث تتحدث الآية عن خلق الأرض: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ([[83]](#footnote-83))، ثم يقول في الآية الحادية عشرة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾([[84]](#footnote-84)). والذي يدقق النظر يجد أن الآية الأخيرة لا تتحدث عن خلق السماء بل عن الحالة الدخانية للسماء، أي أن السماء موجودة أصلاً أثناء فترة خلق الأرض، ولكنها كانت في الحالة الدخانية... وهذا ما يقوله العلماء([[85]](#footnote-85)(.

لذا فقد رأى الدكتور موريس بوكاي في تعليقه على الآيات التي أوردناها من سورتي فصلت والنازعات في وصف نعم الله الدنيوية على الناس، ذلك الذي يعبر عنه القرآن، في لغة تناسب مزارعًا أو بدويًا من شبه الجزيرة العربية، مسبوق بدعوة للتأمل في خلق السماء، ولكن المرحلة التي مد فيها الله الأرض وأخصبها تأتي بالتحديد زمنيًا بعد إنجاز عملية توالي الليل والنهار: (المذكور هنا إذن هو مجموعتان من الظاهرات جزء منها أرضي والآخر سماوي، وقد حدث كلاهما في اتصال مع الآخر. وبالتالي فذكر هاتين المجموعتين من الظاهرات يعني أن الأرض كانت بالضرورة موجودة قبل أن تمدّ، وعليه فقد كانت موجودة حين بنى الله السماوات. وينتج من هذا فكرة المصاحبة الزمنية لنمو كل من السماوات والأرض بشكل تتداخل فيهما الظاهرتان. وبناء عليه فلا يجب أن ترى أي دلالة خاصة في إشارة النص القرآني إلى خلق الأرض قبل السماوات أو خلق السماوات قبل الأرض، فمواضع الكلمات لا تبين وجود ترتيب تحقق الخلق في إطاره، إلا أن تكون تفصيلات أخرى معطاة) ([[86]](#footnote-86)).

وأما عدد الأيام التي تم فيها الخلق فهي ستة؛ كما نص على ذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات، حيث أخبر تعالى أنه خلق الأرض في يومين، وأخبر أنه خلق ما فيها من الجبال وقدر الأقوات في يومين آخرين، فالمجموع أربعة أيام، وليس المقصود أن جعل الرواسي وتقدير الأقوات فقط في أربعة أيام، بل المقصود أن هذا مع خلق الأرض كله في أربعة أيام، وأن خلق السماوات في يومين، فيكون المجموع ستة أيام.

ولقد ضرب القرطبي في تفسيره المسمى الجامع لأحكام القرآن، مثالًا لتقدير الأقوات في أربعة أيام كقول القائل: (خرجتُ من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يومًا، أي في تتمة خمسة عشر يومًا).

والذي يصحّ أن يكون جديرًا بالقبول في هذا الموضوع: أن يُحمَل الخلق في قوله تعالى: "أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين.. الآيات" على التقدير والقضاء، لا على الإيجاد والحصول، أي: قدَّر وجود الأرض، وحكم بأنها ستوجد في مقدار يومين، وبذلك تتلاشى شبهة: كيف كان ذلك في أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك، ضرورة أن اليوم يمتاز عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها ولا شمس ولا قمر. "وبارك فيها وقدر فيها أقواتها" أي: قدّر وقضى أن يكثر خيرها بخلق أصناف الحيوانات وأنواع النبات على ما تقتضيه الحكمة، وتستدعيه مصلحة العباد "في أربعة أيام" أي: في تتمة أربعة أيام مقدار يومين آخرين منضمين إلى مقدار يومي خلق الأرض، فتكون مدة خلق الأرض وما يتعلق بها مقدار أربعة أيام، وتكون مدة خلق السماء يومين، وبذلك تتعلق آيات فصلت بالآيات الناطقة أنه تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وهذا تمثيل وتصوير لكمال قدرته تعالى، وأنه لا يمتنع عليه تعالى شيء مما قدره وتعلقت قدرته بحصوله وإيجاده، وبهذا انحسر اللثام، واتضح المقام أن "ثم" إنما هي للترتيب بين التقدير والإيجاد، لا بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء ([[87]](#footnote-87)).

إن الآيات التي تتناول خلق السماوات والأرض منذ النشأة تؤكد أنهما كانا معًا كتلة واحدة ثم حدث انفصال بينهما، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾([[88]](#footnote-88)).

وهي مرحلة من مراحل خلق الكون بالرتق والفتق، وهذه الآية في مفهومها العلمي كانت عصية على كثير من المفسرين إلى أن جاءت النظريات العلمية التي تفهمتها ووضحتها لتؤكد أن الفتق هنا معنى يشير إلى فعل القطع أو فك جسمين متلاحمين ما يشير إلى الفصل بينهما تمامًا، وذلك بغية استقلال كل منفصل بذاته في تكوين جديد خاص به، وبارتباط الآية السابقة بالآية (41) من سورة فصلت التي تصف السماء بكونها دخان، يكون القرآن الكريم قد قدم فيهما الخلاصة المركبة وموجز الظاهرات لكافة العمليات الرئيسية التي شكلت الكون الذي نعيش فيه([[89]](#footnote-89)).

لقد كان هذا الفتق إيذانًا بتكون الأجرام السماوية والتي منها المجموعة الشمسية نتيجة لهذا الانفجار العظيم، ذلك أن الباحثين في تكوين تلك الأجرام أطلقوا اصطلاح "الدورات التكوينية" وبذلك يحتل انفصال الأرض عن السماء هو الدور الثاني في عملية خلق الكون، وكان ناتجًا عن الانفجار دخانًا هذا الدخان الذي يحدد طبيعة الجرم السماوي بالكتلة التي تنفصل عنه، ولقد جاء القرآن الكريم ليصحح المعتقدات الخاطئة عن كون الشمس هي مركز الكون وأنها ثابتة من حيث الحجم والكتلة، ولذا فقد استلزم هذا أن تدور حول نفسها أو حول محورها المركزي، مثلما ظن العلماء أن المجموعة الشمسية هي كل ما يحيط بنا من كون، وهو عينه ما يفسر عدم اليقين بكون الأرض أم السماء كانت لهما الأسبقية في الخلق على الآخر، وذلك مرجعه أن الذي خلقه الله بعيد الانفجار الكوني ما نطلق عليه "الكون المنظور" وتدخل الأرض فيه قبل "الدحو" أي أن يدحوها الله تعالى و يمدها، و يخرج ماءها و مرعاها و ذلك في الأربعة أيام الأولى، أما السموات السبع تحديدا فخلقهن من الدخان الكوني في اليومين التاليين و طبعا ليس المقصود بالسموات السماء المنظورة و لكن ما فوقها من الطباق التي هي عوالم أخرى لا يحيط بعلمها إلا الله و فيها جنوده من الملائكة و أرواح الأنبياء و فيها عُرج بالنبي صلى الله عليه و سلم إلى الملكوت الأعلى.

وليس من غاية الدراسة في هذا الكتاب استقصاء خلق الكون في القرآن الكريم على إطلاقه وإنما ما يتقاطع أو يتشابه مع سفر التكوين من موضوعات، ولولا هذا لأسهبنا في عرض الكثير من النظريات العلمية التي تأتي مسايرة ومتطابقة مع ما أتى به القرآن الكريم في هذا الشأن.

### نقاط الالتقاء والافتراق بين سفر التكوين والقرآن الكريم في خلق الكون:

ولقد أسفر تناول خلق الكون في الأيام الست بين سفر التكوين والقرآن الكريم، أن كلا الكتابين اتفقا في عدد أدوار الخلق أنها ست، كما اتفقا في أن النجوم هي مصدر النور، ولكن اختلفا من حيث أن القرآن الكريم يتفرد بما لم يذكره السفر المذكور من أن نشأة الكون جاءت عبر انفجار عظيم، كما أن الأدوار الست هي مراحل وليست أيام بالقياس البشري كما صورتها التوراة، كما انفرد القرآن الكريم بوصف الحالة الأولية في بداية عملية خلق الكون بالحالة الغازية "الدخان" وهو ما يتطابق مع معطيات العالم الحديث، وهذه الحالة قد احتاجت ملايين السنين حتى بردت قشرتها، لا يومًا واحدًا كما ذكرها سفر التكوين.

ولقد اشتمل العهد القديم فيما أورده في سفر التكوين من خلق السموات والأرض خلال الأيام الست على أخطاء، منها: إشارته إلى وجود الماء في المرحلة الأولى، كما جاء ذكر النور في اليوم الأول قبل أن تخلق النجوم، وكذلك جاء ذكر الليل والنهار في اليوم الأول ولما لم تخلق الأرض بعد، ولم تدر حول الشمس ليحدث التعاقب.

كما ذكر سفر التكوين النبات في اليوم الرابع قبل خلق الشمس وهو محتاج لوجودها لعملية البناء الضوئي، وذكر السفر خلق العشب قبل الشمس، كما ذكر خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض وهو مخالف للنظام الشمسي، وذكر خلق الطيور مع الحيوانات في اليوم الخامس مع كون الطيور تم خلقها بعد خلق عالم الحيوان.

لا يوجد على أي حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون، ذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذي نملك اليوم قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية ([[90]](#footnote-90)).

لقد أتى النص التوراتي في سفر التكوين خاليًا من الترتيب الذي يظهر القدرة، ويبرز الخلل في الإشارة لبشرية النص، مع افتقاده للبلاغة، والغاية من العبرة، بينما تأتي الآيات القرآنية مفعمة بالبلاغة التي تضرب بالدلالة على القدرة الإلهية اللامتناهية، التي تدعو العقل للتفكر.

### الأسباب التي أدت إلى اختلاف سفر التكوين عن القرآن الكريم في خلق الكون:

نستطيع رد الاختلاف البين بين سفر التكوين والقرآن الكريم في قصة خلق الكون للأسباب التالية:

**• التحريف:**

إن ما أثبتناه من قبل عن التوراة التي كتبها نبي الله موسى عليه السلام والتي أسماها "الهدى" أو "الإرشاد" لم تسلم من التحريف بأيدي كهنة الهيكل عبر التاريخ، وهذا ما أدخل على قصة الخلق في سفر التكوين وهو من أهم أسفار القسم الأول من التوراة ما لم ينزله الله تعالى، وقد ثبت هذا للعلماء الذين عاينوا هذا السفر وغيره من علماء اليهودية والمسيحية والإسلام على السواء، وذلك لتباين اللغات وتعدد الأساليب الناشئ عن أن كتابة التوراة كان عملًا اتسم بالجماعية من أجيال متتابعة من محررين وكهنة على مدى حقب زمنية متعاقبة، هذا الأمر الذي حاول كثير من علماء الدفاع اللاهوتي الدفاع عنه بأنها كتابة بشرية تحت عناية وأنظار العناية الإلهية!

والثابت أن معظم سفر التكوين ومعه سفر الخروج قد تم كتابتهما في القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد وفاة موسى عليه السلام بنحو ستة قرون، فأي ذاكرة تلك التي تستوعب وتكتب أحداث لم تشهدها، وأي روح قدس تلك التي أملتها عليها أو أحاطتها بالعناية الإلهية مخافة التحريف أو التبديل أو الزلل؟!

ولقد ثبت أن هذا السبب هو الأكثر تأثيرًا في كون نص العهد القديم قد أتى مخالفًا ومتناقضًا وغير متوافق مع وجهة النظر العلمية في العصر الحديث.

وكيف لا ندهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النص الأكثر تفصيلية عن رواية الخلق في التوراة قد كُتِبت بأقلام كهنة عصر النفي إلى بابل، وقد كان لهؤلاء الكهنة الأهداف التشريعية التي اصطنعوا لها رواية تتفق ونظرتهم اللاهوتية ([[91]](#footnote-91)).

**• الانحراف العقدي اليهودي في تصور "الإله":**

لقد كان لانحراف العقيدة اليهودية في تصورها للرب (يهوه) إله إسرائيل على نحو إنساني، وتشخيصها له على هذا النحو الذي أسقطوا عليه كافة السلوك البشري بجانبه السلبي والإيجابي وإن كان أكثر سلبية في سلوكه وصفاته التي اتسمت بالعناد، والميل لحب الحرب والقتال، والتعطش للدماء، وانقلابية الأطوار، والتهور والحماقة، وسرعة وقوعه في الأخطاء ثم الندم عليها، والغضب لأتفه الأسباب.

أما السبب الرئيس في اتصال انحراف عقيدتهم في الرب يؤدي إلى هذا الاختلاف بين التوراة والقرآن الكريم في قصة خلق الكون، هو فساد اعتقادهم في الرب بين المحسوس والتجريد في التصور الكهنوتي واليهودي، وكونه إله لا يهتم بالقواعد الأخلاقية أو أية مبادئ ولهذا يأبه لها إن خرقها أو تجاهلها بالكلية في سبيل حصوله على مغانم وقتية رخيصة، ولو استخدم أساليب تتسم بالخداع، وذلك سوغ لأتباعه من اليهود أيضًا الجرأة على نصوص التوراة والعبث بها، لسقوط القداسة في أعينهم عنها مما يسر تحريفها تبعًا لأهوائهم.

**• تأثر اليهود بأساطير نشأة الكون من الشعوب المحيطة بهم ونقلها:**

نقل اليهود الأخبار الشعبية والأساطير الشفهية من الرواة المحترفين في تلك المجتمعات التي عاشوا فيها، وقد تجمعت تلك الأخبار التي كانت منفصلة عن بعضها في شكل لم يبدو متماسك البنيان، وذلك مرده تباين تلك الأخبار والأساطير التي كونت بعض الأسفار ومنها بل أولها بالطبع سفر التكوين.

وهذا ما دعا عالم الإنثربولوجي "جيمس فريزر" رائد المدرسة التطورية أن يقول في مقدمة الطبعة المختصرة لكتابه: "الفولكلور في العهد القديم": (وقد حاولت في هذا الكتاب أن أسير على هدي الدراسات الفولكلورية متعقبًا بعض معتقدات الإسرائيليين القدماء وأنماط سلوكهم الفكرية والعلمية في المراحل الأكثر قدمًا وفجاجة، تلك التي تشبه ما نجده لدى القبائل البدائية التي تعيش حتى اليوم من معتقدات وعادات) إلى أن يذكر الدافع الأقوى عنده من دراسته تلك، فيقول: (ولقد دفعني الهدف من دراستي هذه إلى أن أنعم النظر في بصفة أساسية في الجانب الأدنى من حياة العبريين القدماء كما تتمثل في العهد القديم، وأن أتتبع آثار الهمجية والخرافة، تلك الآثار التي تنتشر على صفحات).

يقول الدكتور كارم محمود عزيز: (وقد حمل الأثري الأمريكي "جيمس بريتشل" على عاتقه مهمة مقارنة رواية الخلق العبرانية الواردة في الإصحاح الأول من سفر التكوين برواية الخلق البابلية، حيث اكتشف تطابقًا مدهشًا بينهما، وكان أول ما آثار انتباهه ذلك التتابع المدهش الذي اتسمت به الروايتان "ظهور السماء والأجرام السماوية، انفصال المياه عن الأرض، خلق الإنسان في اليوم السادس وراحة الإله في اليوم السابع، ويرى "كييرا" أن طريقة عرض قصة خلق العالم والإنسان في الرواية التوراتية في سرد حوادثها بالتعاقب، تشبه تمامًا طريقة سرد القصة نفسها في الرواية البابلية [أينوما إيليش]") ([[92]](#footnote-92)).

يقول كمال الصليبي ([[93]](#footnote-93)) : (وما سفر التكوين، وهو السفر الأول من التوراة، إلا مجموعة من الأساطير التي يتعدى قدمها قدم اليهودية ونصوصها المكتوبة بأجيال، ومن هذه الأساطير، ولا شك، ما طرأ عليه تغيير قليل أو كثير.. على الباحث في أساطير سفر التكوين إذًا أن يحاول إرجاع كل أسطورة منها إلى عناصرها الأصلية قبل الإقدام على المحاولة لفك رموزها وحل ألغازها).

وعلى ذلك فإن التراث اليهودي • المتمثل في كتبهم وأسفارهم المقدسة • لا يمثل العقلية اليهودية فحسب بل يحمل في ثناياه ثقافات وحضارات ومعتقدات وعادات وطقوس الأمم التي عاش اليهود بينها عبر تاريخهم الطويل.

واستوعب اليهود هذه الحضارات المختلفة وصبغوها بصبغة يهودية حتى بدت وكأنها من نتاج العقلية اليهودية.

ويستطيع الباحث المدقق أن يتتبع خيوط هذه الثقافات في نسيج التراث اليهودي([[94]](#footnote-94)).

**الفصل الثالث:**

## خلق الإنسان بين سفر التكوين والقرآن الكريم

إن الذين يقرأون الكتاب المقدس قراءة فاحصة لا يمكن أن يغيب عنهم التناقض الصارخ بين قصتي خلق الإنسان، اللتين تقعان في كل من الإصحاحين: الأول والثاني من سفر التكوين. ففي الإصحاح الأول نقرأ كيف أن الله خلق في اليوم الخامس من بدء الخليقة السمك والطيور، بل كل الكائنات التي تعيش في الماء أو الهواء، وكيف أنه خلق في اليوم السادس في كل صنوف الحيوان التي تعيش على وجه الأرض، وأخيرًا خلق الإنسان، الذكر والأنثى كليهما، على صورته.

ومن هذه القصة نستنج أن الإنسان قد خُلِق بعد أن خلقت كائنات الأرض جميعها، كما نتبين أن تقسيم الإنسان إلى ذكر وأنثى • وهو تقسيم التقسيم الذي تختص به الإنسانية، قد تم على يد الخالق نفسه، وإن لم يقدم لنا الكاتب أية معلومات تمكننا من التوفيق بين الخلق الثنائي ووحدة الخلق([[95]](#footnote-95)).

هذه هي البداية مع سفر التكوين التناقض البين والذي أثبته رائد المدرسة التطورية العالم جيمس فريزر، الذي استوقفه فيها النسق التاريخي للخلق، وكيف أن الإنسان جاء ترتيبه في الخلق بعد أن خلق الله صنوف الحيوان الدنيا قبله، ثم قسَّمَ الله الإنسان إلى نوعين ذكر وأنثى في وقت واحد، وذلك كما جاء في الإصحاح الأول من سفر التكوين، وازدادت حيرة فريزر حين انتقل لقراءة الإصحاح الثاني الذي فاجأه برواية مغايرة بل تختلف تماما عن هذه الرواية الخطيرة على حد قوله، بل تتناقض كل التناقض ومثيرة للدهشة؛ حيث جاء فيها خلق الكائنات معكوسًا؛ فقد خلق الله الإنسان أولا، ثم خلق صنوف الحياة الدنيا من بعده، أما خلق المرأة فقد جاء بعد أن انتهى الله من هذا كله، فقد جاء خلقها من ضلع الرجل انتزاعًا أثناء نومه.

يفسر جيمس فريزر هذا التناقض البين بين القصتين بردهما إلى من كتبهما استمدادًا من مصدرين متباينين، ومستقلين في أصلهما، ثم أعمل فيهما قلمه بأن نقلهما معًا وخطهما في كتاب واحد بعد أن جمعهما معًا على هذا الترتيب المتناقض الذي لم يلتفت له في حينه، ولهذا فقد فات عليه أن يوائم بينهما ليزيل عنهما هذا التناقض أو على الأقل يخفف من حدته.

ويرى فريزر أن قصة الخلق الواردة في الإصحاح الأول من سفر التكوين قد استمدها كاتبها مما خطه الكهنوتيين بأيديهم فيما تعارف عليه علماء مقارنة الأديان بالمصدر الكهنوتي، بينما جاءت قصة الخلق الثانية والواردة بالإصحاح الثاني من نفس السفر من المصدر اليهودي وهو المصدر الذي سبق المصدر الكهنوتي بقرون عديدة، وهو ما بان أثره في تصور كل كاتب للرب في ذهنه، حيث جاءت صورة الرب بشرية محسوسة لكاتب الإصحاح الأول في المصدر اليهودي، بينما جاء ت صورة الرب مجردة في تصور الكاتب الناقل عن المصدر الكهنوتي المتأخر ولهذا جاء أمره مشوبًا بالبساطة حين أصدر أمره إلى جميع الكائنات أن توجد فكانت.

وهذا التصور في الانحراف العقدي في تكوين صورة الإله عند كاتب سفر التكوين ما يؤكد ما أسلفناه أنه ساهم مساهمة فعالة في وجود هذا التناقض الصارخ داخل الكتاب المقدس والذي ظهر بصورة مخالفة لنصين من نصوصه، وكان هذا تمهيدًا حتميًا لأن تأتي قصة خلق الكون والإنسان مختلفة بين سفر التكوين وبين القرآن الكريم.

على الرغم من أن مفردات قصة خلق الإنسان في القرآن الكريم تناثرت آياتها وتعددت لكنها في النهاية بدت متكاملة تحوطها نظرية متماسكة، أضفى عليها كثير من المصداقية والإقناع بحيث أجابت إجابات شافية عن الأسئلة التي كانت تدور في العقل الإنساني.

إن خلق الإنسان ليس إلا جزءًا من عملية الخلق الكبرى، التي شملت السماوات والأرض وما بينهما، ومع أن هذه الأجرام الكبرى قد أوجدها الله تعالى من العدم، فإن الإنسان قد نشأ من عناصرها: الماء والتراب، اللذين تحولا إلى طين لازب، فحمأ مسنون، فصلصال كالفخار، ثم تم تسويته وتعديله حتى أصبح مؤهلاً لنفخ الروح الإلهي فيه.

وهنا حدث تكريمه بسجود الملائكة له، بعد أن علمه الله أسماء الكائنات، كما منحه الأنس بخلق زوج له من نفسه، وأسكنها معه في الجنة.. إلى هنا والحديث عن الملأ الأعلى.

أما فوق الأرض، فإن الخلق يأخذ منحى آخر، ينتج عن التقاء الرجل بالمرأة، كما يحدث لدى الحيوانات والنبات من التقاء أو تلقيح الذكر للأنثى. وهكذا يكشف الله تعالى سر الخلق للإنسان، لكى يطمئن على مصدر وجوده ، ويتيقن في نفس الوقت من أنه جزء من خطة إلهية، أنشأته بالخلق، وحافظت على استمرار وجوده بالرزق، تمهيدًا لبعثه في حياة خالدة، لا فناء فيها ولا عدم([[96]](#footnote-96)).

يشهد الدكتور موريس بوكاي للقرآن الكريم بأنه الأسبق في مجال أصل الإنسان، وعلم الأجنة، فيقول: (إن ما جاء به القرآن من بيان أصل الإنسان يثير دهشة كثير من الناس لاريب كما أدهشني أنا أيضًا حين اكتشفته لأول مرة، وفوق ذلك فإن مقارنة النصوص القرآنية والتوراتية والإنجيلية تكشف عن ذلك بصورة أوضح، فكلهم يتحدث عن الله الخالق، إلا أن التفصيلات التي أوردتها التوراة في وصف الخلق • وهي غير مقبولة علميًا • لا وجود لها في القرآن، أما القرآن فيحتوي حقًا على آيات بينات عن خلق الإنسان تدعو إلى العجب وإعمال العقل، ويستحيل وجود هذه الآيات البينات بالمنطق البشري، إذا وضعنا في اعتبارنا مستوى المعارف السائدة وقت نزول القرآن، أما بالنسبة إلى الغرب فلم يسبق له أن تناول هذه الآيات البينات التناول العلمي حتى التاسع من نوفمبر سنة 1976م وذلك حين قدم إلى الأكاديمية الطبية الفرنسية بحثًا عن المعطيات في كل من علم وظائف الأعضاء وعلم الأجنة التي عرض لها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا سبقت الاكتشافات العلمية الحديثة ([[97]](#footnote-97)).

### القرآن الكريم أسبق من سفر التكوين/العهد القديم في علم الأجنة:

لقد أتى القرآن الكريم بآيات عجيبات من حيث العلمية، والسبق، والنظم، والسبك، والبلاغة، وإلهية المصدر والترتيب في علم الأجنة، وهذه الآيات لا تشي من قريبٍ أو من بعيد أنها من إنشاء بشر، أو أنها نقل من دين سابق، أو من أمة سبقت مهما كان لها قدم راسخة في الحضارة، ومهما بلغ تاريخها في التقدم، ولا يظن ظان أن الأسبقية هنا هي الأسبقية الزمنية فالبداهة هنا تدل على السبق الزمني لسفر التكوين وللعهد القديم بل للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

إن قصب السبق المحسوب لصالح القرآن الكريم تأتي على أساس الصحة، والعلمية، والالتقاء المتوافق لحد التطابق بين حقائق العلم في العصر الحديث من: مراكز علمية بحثية، ومعملية، وجيش جرار من العلماء، وأجهزة حديثة لم تكن موجودة من ذي قبل، وبين القرآن الكريم.

إن كافة الادعاءات الكاذبة حول نقل واقتباس الإسلام لتتحطم على صخرة هذا العلم وحده، دون الالتجاء إلى الفارق العقيدي بين نظرة الإسلام لله تعالى النافية للشرك والتجسيم والتجسيد والتشخيص، وإثبات التوحيد الخالص له وحده عز وجل، وكذلك دونما استدعاء لمخالفة القص كأسلوب وطريقة ومنهاج خاص بالقرآن الكريم وبين القصص المبثوثة والمدسوسة والتي شابها القص واللصق والتحريف في التوراة وفي الكتب التي سبقت نزول القرآن الكريم.

كما تنفي هذه الآيات نفيًا تامًا أن يكون القرآن الكريم قد كتبه النبي "الأمي" صلى الله عليه وسلم، أو هو الذي ألفه، أو نقله من كتب السابقين، أو علَّمه أحد إياه، وذلك للآتي بيانه:

• أن العلم الخاص بالأجنة الذي جاء به القرآن الكريم ينفي أن يكون منقولاً من حضارات سابقة كالفراعنة واليونان والهنود خاصة وأن ما قالوه جميعًا لا ينبني على نظريات علمية أو حقائق مستقرة اشتهرت عنهم وعرفت وذاعت وانتشرت حتى بلاد العرب التي اتصل أهلها بأهل هذه الحضارات، وذلك أنها لم تكن أكثر من ضرب من تخمين أقرب للتخريف غير مبني على اختبار معملي أو مجهري، لقد جهل الفراعنة على الرغم من تقدمهم الطبي دور "المني" في خلق الجنين، غير أنهم لم يجهلوا أن له دور ما بينه وبين العضو الذكري وحدوث عملية الحمل، وفي الحضارة اليونانية أخطأ أبو قراط وجالين في تصوره عن نشوء الجنين وتكوينه؛ إذ حسبوه يتكون من دم الحيض وعلى الرغم من اهتمام الهنود بطب الأجنة الذي يعود إلى عام 1416 قبل الميلاد• إلا أن تصورهم كان خاطئًا عن تكون الجنين الذي يأتي من اتحاد الدم والمني.

• لم تعرف العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبله علم الأرحام والأجنة، وكل ما كانوا يعرفونه تصورات خاطئة نقلوها عن اليهود، كما لم يكن الطب من العلوم القوية في حياتهم وتاريخهم، ولقد كان لحارث بن كلدة علم به شابها الاتصال بالسحر.

• لم يكن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد له تصور خاص يتصل بالحقيقة حين أقر بأن الجنين يتكون من دم الحيض، في الوقت الذي شاعت فيه نظرية "الجنين القزم" والتي تعد من أقوى النظريات الفلسفية حول نشأة الجنين والتي تزعم فيها بأن الإنسان حينئذٍ يكون كامل الخِلقة ولكنه ينمو باضطراد، غير أن أصحاب هذه النظرية انقسموا إلى مذهبين:

هل الإنسان يوجد كاملاً في الحيوان المنوي للرجل؟ أم كاملاً في دم حيض المرأة يشتد عُودُه بعد أن ينعقد بسبب ماء الرجل؟

فبحسب الأول: الإنسان يكون كامل الأعضاء قزماً في الحيوان المنوي، ولكن الجنين صغير الحجم، لا ينمو إلا في تربة خصبة (الرحم).

أما الثاني: الإنسان يكون كامل الأعضاء قزمًا في دم الحيض، لكنه ينتظر المني ليقوم بمهمة عقدِ الجنين وتغليظ قوامه، تمامًا كما تفعل الإنفحة بالحليب (اللبن)، فتعقده وتحوله إلى جبن.. فليس للمني دَورٌ سوى أنه ساعد كمساعدة الإنفحة للحليب (اللبن) في صنع الجبن (التخثير كالجبن).

**• خالف القرآن الكريم الأخطاء الموجودة في العهد القديم، منها:**

1• أن خلق الجلد والعظم في الجنين يكون قبل العظام والعصب، وقد أتى التصور القرآني الإلهي في أسبقية العظم ثم اللحم، وهو ما جاء متوافقًا مع العلم الحديث.

2• ذكر العهد القديم تقديم السمع على البصر مرة واحدة في لمحة سريعة في تفسير أن الأذن تسمع والعين تبصر، أما الباقي فقدم البصر على السمع فيها، بينما جاء تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم والذي ثبت أنه إعجازًا علميًا وذلك لاتفاقه مع العلم الحديث في أسبقية خلق السمع على البصر.

• يعود تاريخ علم الأجنة إلى أكثر من ستة قرون قبل الميلاد، وهذا العلم ينقسم إلى ثلاث مراحل أساسية، هي:

أ • المرحلة الوصفية: تبدأ مع بداية هذه المرحلة حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

ب • مرحلة علم الأجنة التجريبي: وتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حتى الأربعينات من القرن العشرين.

ج • مرحلة التقنية واستخدام الأجهزة: وهي المرحلة التي يعيشها الإنسان المعاصر.

• الثابت أن الإنسان في العصور القديمة لم يكن يربط بين المتعة الجنسية والإنجاب، فالحافز كان المتعة لا الإنجاب ([[98]](#footnote-98)).

يقول سيجموند فرويد([[99]](#footnote-99)): (إن آفاقًا أرحب تتفتح أمامنا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الغريزة الجنسية لا ترمي إطلاقًا في الأصل إلى خدمة التناسل. وإنما هدفها كيفيات معينة في الحصول على اللذة).

• لم يقل أحد من علماء الغرب الموثوق بعلمهم، إن الجنين ناتج عن التقاء الحيوان المنوي للرجل مع بويضة المرأة قبل سنة 1775م. عندما أثبت (سبالا نزاني) أهمية كل من الحوين المنوي وبويضة المرأة في أنهما يساهمان معًا في تكوين الجنين البشري حيث يقوم الحوين بتخصيب البويضة التي تبدأ بعدها بالانقسام لتتكون الخلايا الأولى للجنين.

### أطوار خلق الجنين في القرآن الكريم:

حسم القرآن الكريم عملية التخلق بأنها مشتركة بين الذكر والأنثى. ومما ج•اء في ذلك ق•وله تع•الى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾([[100]](#footnote-100)).

كما أثبت القرآن الكريم أن خلق الإنسان لا يأتي جملة أو دفعة واحدة وإنما يمر بمراحل عديدة ومتباينة تسمح للجنين بالتدرج فيها عبر أطوار، وهو ما جاء مخالفًا لما كان متصورًا حتى القرن الثامن عشر طبقًا للنظرية القزمية والتي كانت تقر بخلق الإنسان دفعة واحدة ثم ينمو ويكبر كالشجرة.

يقول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ([[101]](#footnote-101)).

جاء التعبير عن تلك الأطوار في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي أن الإنسان يمر خلال عملية تخلقه بمراحل متتابعة فصلها القرآن في سورة المؤمنون في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

كما جاء في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

ومن هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم والتي تناولت خلق الإنسان، نستطيع التعرف على أطوار الجنين الإنساني ومعالمه، دون الإسهاب في تناولها، وهي:

1• طور النطفة.

2• طور العلقة.

3• طور المضغة "المخلقة وغير المخلقة".

4• طور العظام.

5• طور اللحم يكسو العظام.

6• طور التسوية والتصوير.

7• طور نفخ الروح.

يقول العالم (كيث مور) Keith Moore رئيس قسم التشريح وعلم الأجنة بجامعة "تورنتو" في كندا: (إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمدًا رسول الله).

كما قال في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عُقد في القاهرة عام 1986م: (إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين؛ لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالمٍ من علماء الأجنة البارزين).

لقد التقى العلم الحديث ودراساته حول علم الأجنة والأرحام مع آيات القرآن الكريم التي أتت في مواضع جديدة منه تناولت فيها عملية التناسل الإنساني، ما يستحيل معه وقوع أي تعارض بين قطعي من الشرع مع قطعي مع العلم، وبالتالي فإن الأقلام التي تحاول أن تقف بقوة أمام هذا السيل الهادر من الحقائق بأن تلقي هنا وهناك بعض الشبهات حول ما جاء في القرآن الكريم فإنما تظهر إلى جانب الحقد الدفين لكتاب الله المدعوم بالحفظ الإلهي، والمصدرية الإلهية أيضًا، إنما تثبت أن شبهاتها تلك لا تقوم على حقائق، وإنما ضرب من المجازفات اللا علمية، كما تفضح نفسها بقصورها الواضح في فهم الآيات القرآنية والنظريات المستقرة علميًا.

**يثبت الدكتور موريس بوكاي بعد مطالعته لما جاء به القرآن الكريم، وما أثبتته البحوث العلمية، الأحكام الدامغة التالية التي نوردها بنصها على هيئة مقتطفات، كالتالي:**

**• أولًا:**

• (يذكر القرآن في مواضع عديدة العمليات للتناسل.. القرآن يصف مراحله بالدقة والتحديد دون أن يكون في قراءتها أي مقولة مشوبة بالخطأ. إنه يعبر عن ذلك في عبارات بسيطة، يسهل على فهم الإنسان إدراكها، وتتفق تمامًا مع ما سيكتشف بعد ذلك بكثير).

**• ثانيًا:**

• (تطور الجنين في الرحم كما يصفه القرآن يستجيب تمامًا لما نعرف اليوم عن بعض مراحل تطور الجنين، ولا يحتوي هذا الوصف على أي مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها؛ إذ يقول القرآن إن الجنين، بعد مرحلة التشبث، وهو التعبير الذي رأينا إلى إي حد هو مؤسس على الحقيقة، يمر بمرحلة "المضغة" • أي اللحم الممضوغ • ثم يظهر بعد ذلك النسيج العظمي الذي يغلف باللحم ويعني لحمًا نضرًا).

**• ثالثًا:**

• (عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذي كانت المعتقدات الوهمية تسوده. إن مقولات القرآن عن التناسل البشري تعبر في ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى أُنْفِقَتْ مئات من السنوات لمعرفتها).

**• رابعًا:**

• (إن توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثة يتضح، ولكن من المهم أيضًا مقابلتها بالمعتقدات العامة في هذا الموضوع والتي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أي حد كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن حيازة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن في هذه المسائل. وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي مثلما ندركه نحن اليوم، ذلك أن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره. الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفة واضحة إلى حد ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر. فطيلة كل القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية التي لا تتمتع بأي أساس هي قاعدة مختلف المعتقدات في هذا الموضوع، بل لقد سادت أيضًا لقرون عديدة حتى بعد العصور الوسطى).

**• الحكم العام من بوكاي بين القرآن الكريم والكتاب المقدس "العهدين القديم والجديد":**

• (إن لتنزيل القرآن تاريخًا يختلف تمامًا عن تاريخ العهد القديم والأناجيل. فتنزيله يمتد على مدى عشرين عامًا تقريبًا وبمجرد نزول جبريل به على النبي صلى الله عليه وسلم كان المؤمنون يحفظونه عن ظهر قلب بل قد سُجِلَ كتابة حتى في حياة محمد صلى الله عليه وسلم. إن التجميعات الأخيرة للقرآن التي تمت في خلافة عثمان، فيما بين اثنى عشر عامًا وأربعة وعشرين عامًا من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قد أفيدت من الرقابة التي مارسها هؤلاء الذين كانوا يعرفون النص حفظًا، بعد أن تعلموه في نفس زمن التنزيل وتلوه دائمًا فيما بعد. ومعروف أن النص منذ ذلك العصر قد ظل محفوظًا بشكل دقيق. إن القرآن لا يطرح مشاكل تتعلق بالصحة).

• (إن القرآن، وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضًا • لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم • طابعه الخاص وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة. بل أكثر من ذلك، وكما أثبتنا، يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنسانًا في عصر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن).

• (إن مقارنة عديدة من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوي التوراة غير المقبولة علميًا وبين مقولات القرآن التي تتوافق تمامًا مع المعطيات الحديثة).

• (لا يستطيع الإنسان تصور أن كثيرًا من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر وهذا بسبب حالة المعارف في عصر محمد صلى الله عليه وسلم. لذا فمن المشروع تمامًا أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله وأن تعطى له مكانة خاصة جدًا حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي. عقيمة حقًا المحاولات التي تسعى إيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية).

• (وهكذا نختم هذه المقارنة بين القرآن وبين الحديث في الأمور العلمية الدنيوية بالتأكيد على أن هذه الفروق تثبت بصورة مذهلة: إن القرآن هو الوحي المكتوب الذي لا شك فيه، ولذلك كان معصومًا من كل خطأ علمي من هذا النوع).

**• نقاط الالتقاء والافتراق بين سفر التكوين والقرآن الكريم في خلق الإنسان:**

لا يوجد أي نقاط التقاء بين ما ذكره القرآن الكريم حول خلق الإنسان وبين سفر التكوين، بل هي نقاط افتراق؛ فقد ثبتت هيمنة القرآن الكريم وفرادته في سَوْق الحقائق الدامغة على صحة ما جاء به من آيات كثيرة أخرى أثبت العلم الحديث صحتها في أمور مختلفة، مثلما أثبت مفارقته لسفر التكوين في خلق الإنسان وصحة ما جاء به القرآن الكريم وتسيده على العصور والأمم السابقة عليه في تصورها الخاطئ والمبني على أوهام وتخاريف وتخرصات ومجازفات لا علمية.

ولقد أقمنا خلال بعض هذه البحوث تناصًا علميًا مع كتاب: "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم • دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" للدكتور موريس بوكاي، كتنسيق علمي يتكامل معه منهج الكتاب من طريق آخر، وقد التقينا معه في إثبات نفس الحقائق التي جعلنا له فيها أن يصدر أحكامه كشاهد من أهلها، في أول أمره قبل دخوله في الإسلام، وقد أثبت أن البون شاسع بين التقاء سفر التكوين مع القرآن الكريم بخصوص التناسل الإنساني وغيره، للأسباب التالية:

• اختلاف مصدرية سفر التكوين عن القرآن الكريم؛ فالقرآن نص إلهي مقدس محفوظ بعناية الله تعالى لم تمسه يد بشر لا بتصحيف أو تحريف، أو تعديل، أو تبديل، أو محو، أو حذف، أو نقل، ولم يفرض عليه رأي، أو وجهة نظر، بينما سفر التكوين وإن كان إلهي المصدر في أوله إلا أن يد التحريف بكل ما ذكرناه من أشكال قد أعملت فيه دورها.

• عدم تطابق الوارد بشأن عملية التناسل الإنساني بين سفر التكوين وبين ما جاءت به الحقائق العلمية التي جاءت منساقة مختارة طائعة متوافقة ومتطابقة تمامًا مع ما جاء به القرآن الكريم.

• أثبت القرآن الكريم فساد وخرافة ما جاء به سفر التكوين من أخطاء لا ترقى لأن تكون حقائق حول قصة خلق الإنسان.

• دمر العلم حصون الإصحاحات الواردة في قصة خلق الإنسان، بل أثبت علم مقارنة الأديان تناقضها داخل السفر نفسه، قبل تناقضها مع القرآن الكريم والحقائق التي جاء بها العلم الحديث.

### الخاتمة:

أثبتت فصول هذا الكتاب أن علم مقارنة الأديان في الأصل هو علم إسلامي بامتياز، مع دراسة حركة المسيرة النقدية ودوافعها، ومساهمة علماء الإسلام فيها من القدامى، كما تناول قصة خلق السموات والأرض وخلق الإنسان في سفر التكوين، مقارنة بما جاء في القرآن الكريم، مع استعراض أهم الاتفاقات والفروق بين النص التوراتي والنص القرآني الكريم والذي أثبت بما لا يدع مجالًا للشك بأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما ثبت أن النص القرآني يتفق مع ما جاء به العلم الحديث، وأن للنص القرآني بهاءً ونورًا وبلاغة وفصاحة ونورًا يفيض في أجواءه وجنباته.

كما أن النص القرآني يحمل تفسيره في ذاته، ينأى عن التفاصيل والجزيئات، ويركز على الكليات والمقاصد، بينما لا يستطيع القارئ فهم النص التوراتي إلا بعد مطالعة التفاسير الكنسية الكثيرة حوله والتي غالبًا ما تجافي المنطق العلمي، واللغوي والتاريخي.

ولقد ثبت عبر الشهادات المختلفة لعلماء كبار في تخصصاتهم سواء المتعلقة بعلم مقارنة الأديان أو علم الأجنة من الجانب المسيحي ومنهم من أسلم، أن القرآن الكريم هو كتاب الوحي الإلهي الصحيح والصادق من الله تعالى، وذلك لانتفاء تناقضه مع ما جاء به العلم الحديث، وهو ما يأتي متوافقًا في ضوء الإطار الشامل الذي يجمع بين صحيح المنقول وصحيح المعقول، أي بين الدين الإلهي بآياته القطعية وبين العلم وصحيح ما جاء به.

كما ثبت أن هذه الحقائق الواردة في الإسلام بخصوص خلق الكون والإنسان لا يمكن أن يقولها بشر، ولم ينقلها الإسلام عن ديانات أو أمم سابقة، وذلك لأن دلائل وبراهين صحتها جاءت مع الإسلام ومنبتة الصلة عن الخرافات والأوهام التي شاعت في العصور السابقة.

### المراجع:

. القرآن الكريم.

. الكتاب المقدس • التوراة.

• دكتور أحمد شلبي: اليهودية، ط8، القاهرة، مكتبة النهضة.

• المستشرق آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ط4. ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. 1967م. مكتبة الخانجي القاهرة.

• دكتور مصطفى زاهار: مقاربات لدراسة النص التوراتي.. سفر راعوث أنموذجًا، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر2012.

• مصطفى رمضان الدسوقي: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، رسالة دكتوراه، قسم الدين والدعوة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر،2004.

• دكتور وليد علي الطنطاوي، الجذور القرآنية لعلم مقارنة الأديان، بحث في: مقارنة الأديان، قسم الدعوة وأصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

• دكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: حديث القرآن عن التوراة، الأردن، دار العلوم للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.

• صلاح حافظ، التاريخ الجنسي للإنسان من الكهف إلى حبوب منع الحمل، الكتاب الذهبي، روز اليوسف، القاهرة.

• سيجموند فرويد، الحياة الجنسية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999م.

• دكتور موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

• دكتور كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2006م.

• كمال الصليبي، خطايا التوراة وأسرار شعب الله، ط6، دار الساقي، 2006م.

• دكتور فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، والعلوم الإسلامية، ط1، دار البشير للثقافة طنطا، مصر، 1994م.

• جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم (التوراة)، ترجمة دكتورة نبيلة إبراهيم، ج1، ط2، دار المعارف القاهرة، 1982م.

• الدكتور حامد طاهر، نظرية خلق الانسان في القران الكريم، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر، 2010م.

• محمد خليفة حسن أحمد: مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م.

• عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م.

• يحي محمد على ربيع، الكتب المقدسة، بين الصحة والتحريف، ط. الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1994م.

• حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني 604 • 562 ق.م، المؤسسة العامة للأثار والتراث، العراق.

• دكتور إبراهيم ثروت حداد عافية، كشف الخطأ والدخيل في توراة بني إسرائيل، دراسة مقارنة من التوراة والقرآن، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، 2006م.

• دكتور علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، 1964م.

• زالمان شازار، نقد العهد القديم، ترجمة أحمد محمد هويدي، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م.

• أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد السابع، دار طيبة، القاهرة، 1999م.

• دكتور علي محمد الصلابي، المعجزة الخالدة، شبكة الألوكة، 2016م.

• محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م،

• دكتور محمد عبد الله دراز: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، 1982م.

• نعيمة إدريس: أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008م.

• دكتور السيد إبراهيم أحمد: حبًا في أمي عائشة، دار حروف منثورة للنشر، 2015م.

• دكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، ط4، 1966، ج 4.

• دكتور إبراهيم تركي،:علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002م.

• دكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، من آدم إلى إبراهيم، دار العلوم للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.

**سيرة الكاتب**

**السيد إبراهيم أحمد**



• رئيس قسم الأدب العربي باتحاد الكتاب والمثقفين العرب.

• رئيس تحرير مجلة كنوز الأقلام الثقافية.

• نائب رئيس مجلس إدارة صالون المنصورة الثقافي الرياضي العربي.

• حاصل على دبلوم الدراسات العليا في المحاسبة المالية، جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية، ودبلوم الدراسات العليا بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية بالقاهرة.

• منحه المجلس الأعلى للإعلام الفلسطيني بدولة فلسطين الدكتوراه الفخرية في الأدب العربي بدرجة الامتياز، ومرتبة الشرف الأولى، تقديرًا لإبداعاته الأدبية، ولجهوده الجليلة في إثراء الثقافة العربية.

• عضو اتحاد الكتاب والمثقفين العرب، وشعبة المبدعين العرب التابعة لجامعة الدول العربية، وعضو مؤسس بمؤسسة الاتحاد العالمي للثقافة والآداب ورئيس اللجنة الإعلامية بها، ومنسق اتحاد المثقفين العرب، ومن كتاب ومفكري شبكة الألوكة، والمختار الإسلامي، ومكتبة صيد الفوائد العالمية، ورابطة أدباء الشام، ودار ناشري، وحروف منثورة للنشر الإلكتروني، وموقع الحوار المتمدن، صحيفة ذي المجاز، ومجلة ألوان للثقافة والفنون، وعضو بتجمع ناشرون.

• نال وسام الإبداع وشهادات تقدير من اتحاد الكتاب والمثقفين العرب، ولُقِبَ ب• "حَبْر الاتحاد".

• نال شهادة شبكة النور "المختار الإسلامي" نظرًا لمساهماته الأدبية التي كان لها الأثر في تطور الموقع، وتقدم تصنيفه في سلم ترتيب المواقع الإلكترونية.

• نال درع الملتقى الأول لصالون عزة أبو العز الثقافي عن مجمل أعماله وعطائه فى المجال الأدبي والإبداعى.

• نال وسام شرف من صحيفة ذي المجاز الأردنية تكريمًا له عن مساهماته في إثراء المكتبة العربية.

• نال شهادة تقدير من صحيفة ذي المجاز الأردنية تقديرًا لما بذله من جهد ومتابعة من أجل استمرار الصحيفة ونجاحها.

• نال شهادة تقدير من حزب حماة الوطن، أمانة محافظة السويس، تكريمًا له لإبداعاته المتميزة في إثراء الحياة الثقافية.

• قدَّم أكثر من ثلاثين حلقة بقناة النيل التعليمية المصرية مأخوذة من مؤلفاته.

• أعد مائة حلقة من برنامج :’’مع أسماء الله الحسنى.. فهمٌ وذكر’’، وكذا سهرات تليفزيونية عن شهر رمضان الكريم.

• أعدَّ عددًا من البرامج الدينية لبعض القنوات، مثل: واحة المستغفرين، لقاء الإيمان، غير كليب عن مناسك الحج، وكليب في الدفاع عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وشريط ديني للأطفال.

• اعتمدت الجامعة الإسلامية العالمية بالمدينة المنورة، وجامعة الخليل بفلسطين المحتلة، بعض مؤلفاته كمراجع أكاديمية أدرجتها في مكتبتهما الرقمية.

• فاز بمسابقة قصص على الهواء بإذاعة هيئة الإذاعة البريطانية BBC والتي قدمتها مسموعة من خلال البرنامج، بالاشتراك مع مجلة العربي الكويتية في مايو 2010 عن قصته: (القطار)، والتي اختارها الناقد البحريني الكبير فهد حسين.

• اختارت دار (نور نشر) NOOR PUBLISHING الألمانية اثنا عشر عملًا من مؤلفاته، وهي: "رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌ في قلوبنا"، "منهاج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "الإعجاز البشري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "حراء.. غار النور"، "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "حُبًا في أمي عائشة"، "سيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم.. مهما أساؤوا"، "السهل المفيد في التجويد"، "سياحة الوجدان في رحاب القرآن"، "حوارات عربية في العلم والأدب والنقد"، "حوارات الكتاب والمثقفين العرب"، "تأملات في شهر رمضان".

•• قدمت الدكتورة الأردنية ديانا رحيل أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة اليرموك وفيلادلفيا دراسة نقدية عن مجموعته القصصية طقوس للعودة، نشرتها بجريدة الدستور الأردنية، بعنوان: [الكتابة ومصافحة البؤس الاجتماعي • قراءة في مجموعة "طقوس للعودة" للكاتب السيد إبراهيم أحمد].

• كتبت الدكتورة رانيا يحي أستاذ النقد الفني بأكاديمية الفنون بالقاهرة مقالة نقدية عن ديوانيه: "إلا الوطن"، "نادر يبحث عن السعادة" نشرتها "المسائية" دار أخبار اليوم القاهرية.

• كتبت عنه وقدَّمت بعض أعماله الناقدة والكاتبة الصحفية عزة أبو العز.

• قدم الرائد العروضي الشاعر فوزي محمود بعض دواوينه.

• كتبت عنه الباحثة والصحفية ندى السيد دراسة بعنوان: "المرأة في أدب السيد إبراهيم".

• شارك في تحكيم بعض المسابقات الأدبية بالمملكة المغربية عبر منتديات دواوين الدار البيضاء، وحضور بعض الفعاليات الأدبية والفنية مع بعض أدباء وفناني مصر في عدة محافظات مصرية.

• قدَّم العديد من الدراسات القيمة في النقد الأدبي من خلال تقديم دراسات عن إنتاج بعض الشعراء والروائيين المصريين والعرب منشورة في أكثر من مجلة ودورية علمية.

• أقام معه الشاعر الجزائري ياسين عرعار حوارًا سياسيًا مطولاً على صفحة كاملة بجريدة الحوار الجزائرية، وحوارين باتحاد الكتاب المثقفين العرب، وصحيفة ذي المجاز الأردنية.

• تغنى بقصائده وأغنياته الدينية الكثير من المبتهلين بالقنوات الفضائية الإسلامية، كما بثتها بعض الإذاعات، وكذلك قدمتها دار الأوبرا المصرية.

• إصداراته:

تتنوع كتابات الأديب السيد إبراهيم أحمد بين الأدب والدين والسياسة، ومنها:

• في مجال الدين والدراسات الدينية:

• كتاب: "المعجزة المحمدية".. دار نور للنشر، المنصورة.

• كتاب: "محمد صلى الله عليه وسلم.. كما لم تعرفوه".. دار دوِّن للنشر، القاهرة.

• كتاب: "السهل المفيد في أحكام التجويد".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

• كتاب : "سياحة الوجدان فى رحاب القرآن".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

• كتاب: "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

• كتاب: "حبًا في أمي عائشة".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.

• كتاب: "منهاج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم".. شبكة الألوكة، ودار ناشري.

• كتاب: "سيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم..مهما أساؤوا".. صادر عن دار ناشري بالكويت.

• كتاب: "كل ما فيه معجزة صلى الله عليه وسلم".. صادر عن مكتبة صيد الفوائد العالمية.

• كتاب: "رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قلوبنا".. صادر عن مكتبة صيد الفوائد العالمية.

• كتاب: "الإعجاز البشري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

• كتاب: "حراء.. غار النور".. دار ناشري الكويت.

• كتاب: "تأملات في رمضان".. شبكة الألوكة.

• كتاب: "دراسات يسيرة في رحاب السيرة".. صادر عن مكتبة صحيفة ذي المجاز.

• في مجال الأدب:

•• كتاب: "حاوروني وحاورتهم".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

• كتاب: "حوارات عربية".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

• كتاب: "مع مهندس العروض الرقمي.. وقفات وتساؤلات".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

• كتاب: "حين يعزف القلم.. مقالات".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

• مجموعة قصصية "طقوس للعودة".. صادر عن دار ناشري بالكويت.

•• ديوان شعر بالعامية المصرية بعنوان: "إلا الوطن".. صادر عن دار مصر اليوم، القاهرة.

•• ديوان شعر للأطفال: "نادر يبحث عن السعادة".. صادر عن دار مصر اليوم بالقاهرة.

•• ديوان: "رباعيات.. لما فات وآت"".. صادر عن دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

•• مسرحية: "المنعطف الأخير".. صادرة عن دار حروف للنشر الإلكتروني.

• مسرحية: "العائد الذي ما عاد".. عن حروف للنشر الإلكتروني، ومجلة الفرجة المسرحية المغربية.

• الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول.. صادر عن دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

• له العديد من المشاركات والحضور من خلال برامج قناة النيل الثقافية، وقناة النيل للأخبار، وقناة القنال، وبعض القنوات الدينية، وإذاعة صوت العرب.

• تنشر أعماله: [شبكة الألوكة، مكتبة صيد الفوائد، رابطة أدباء الشام، دار ناشري للنشر الالكتروني، حروف منثورة للنشر، مجلة الرباط الأدبي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المستقبل، دنيا الرأي، دنيا الوطن، مجلة الجيل، الأهرام، الفجر نيوز، الواقع، الدلتا، مجلة الفكر الحر، صحيفة الشرق القطرية، المختار الإسلامي، مقالاتي، مكتوب، شبكة أعلام القدس، ألوان عربية، مجلة رؤى مصرية].

للتواصل مع الكاتب:

• elsayedebrahim1@hotmail.com

• elsayedebrahim22@gmail.com

**المحتويات**

[المقدمة 1](#_Toc494268943)

[علم مقارنة الأديان.. علم إسلامي المنشأ 2](#_Toc494268944)

[الكتاب المقدس في ضوء النقد الإسلامي 2](#_Toc494268945)

[شهادات في حق علماء الإسلام في علم مقارنة الأديان: 2](#_Toc494268946)

[دور القرآن الكريم في الدعوة إلى دراسة الأديان الأخرى: 4](#_Toc494268947)

[ابن حزم الأندلسي مؤسس علم مقارنة الأديان: 5](#_Toc494268948)

[دوافع النقد الإسلامي للكتاب المقدس: 6](#_Toc494268949)

[منهج النقد الإسلامي للعهد القديم: 8](#_Toc494268950)

[الالتزام بالموضوعية والحيدة: 12](#_Toc494268951)

[جمع المعلومات: 12](#_Toc494268952)

[التوثيق: 12](#_Toc494268953)

[العلوم المساعدة: 12](#_Toc494268954)

[سفر التكوين بين النقد والتدوين 14](#_Toc494268955)

[أقسام سفر التكوين والغرض منه: 14](#_Toc494268956)

[لمحة تاريخية حول العهد القديم: 15](#_Toc494268957)

[يد عزرا في التوراة 17](#_Toc494268958)

[موقف النقد الإسلامي من الأسفار الخمسة.. ابن حزم أنموذجًا: 18](#_Toc494268959)

[أثر ابن حزم في النقد في المناهج الغربية: 22](#_Toc494268960)

[صحة القرآن الكريم وهيمنته 24](#_Toc494268961)

[خلق الكون والإنسان في سفر التكوين والقرآن الكريم 29](#_Toc494268962)

[خلق الكون في سفر التكوين 29](#_Toc494268963)

[رأي الدكتور موريس بوكاي في "يوم" التكوين: 33](#_Toc494268964)

[الدفاع الكنسي عن الخلق في سفر التكوين: 35](#_Toc494268965)

[خلق الكون في القرآن الكريم 38](#_Toc494268966)

[خلق السموات و الأرض في ستة أيام: 38](#_Toc494268967)

[خلق السموات والأرض وترتيبهما في القرآن الكريم في ستة أو ثمانية أيام: 42](#_Toc494268968)

[نقاط الالتقاء والافتراق بين سفر التكوين والقرآن الكريم في خلق الكون: 46](#_Toc494268969)

[الأسباب التي أدت إلى اختلاف سفر التكوين عن القرآن الكريم في خلق الكون: 48](#_Toc494268970)

[خلق الإنسان بين سفر التكوين والقرآن الكريم 50](#_Toc494268971)

[القرآن الكريم أسبق من سفر التكوين/العهد القديم في علم الأجنة: 52](#_Toc494268972)

[أطوار خلق الجنين في القرآن الكريم: 55](#_Toc494268973)

[الخاتمة: 59](#_Toc494268974)

[المراجع: 59](#_Toc494268975)

1. ) انظر: عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص 134. ، والفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر ص711. [↑](#footnote-ref-1)
2. ) دكتور أحمد شلبي: اليهودية، ط8، القاهرة، مكتبة النهضة، ص24. [↑](#footnote-ref-2)
3. ) G.Haider Aasi، Amss: "Muslims contributions in the comparative religions".1990. New York. [↑](#footnote-ref-3)
4. ) المستشرق آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ط4. ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. 1967م. مكتبة الخانجي القاهرة، ص384. [↑](#footnote-ref-4)
5. ) انظر: دكتور محمد عبدالله الشرقاوي، مقدمة الرد الجميل لإلهية عيسى، ص18، وراجع دكتور عبد الستار فتح الله سعيد، في معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ص 70، القاهرة. [↑](#footnote-ref-5)
6. ) دكتور مصطفى زاهار: مقاربات لدراسة النص التوراتي .. سفر راعوث أنموذجًا، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر2012، ص190. [↑](#footnote-ref-6)
7. ) بو شريط محمد، ابن حزم ومقارنته للأديان من خلال كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل .. الوحدانية في ميزان المسيحية واليهودية، مجلة المواقف في البحوث والتاريخ، عدد إبريل، الجزائر، 2008، ص 117. انظر محمود علي حماية ، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، القاهرة،1983، ص 8،7. انظر: دكتور مصطفى حلمي، الإسلام والأديان .. دراسة مقارنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص126. [↑](#footnote-ref-7)
8. ) انظر: الدكتور إبراهيم أحمد الديبو ، ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة ، ص1، كلية الشريعة، جامعة دمشق، وكذلك: الطاهر بوناي، المعرفة التاريخية عند ابن حزم الأندلسي من خلال تأريخه للأديان السماوية (اليهودية والمسيحية أنموذجًا)، مجلة المواقف في البحوث والتاريخ، عدد الأول جانفي، الجزائر، 2007، ص109. [↑](#footnote-ref-8)
9. ) مصطفى رمضان الدسوقي: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، رسالة دكتوراه، قسم الدين والدعوة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر،2004، ص23. [↑](#footnote-ref-9)
10. ) انظر: رباب رضا، الجذور القرآنية لعلم مقارنة الأديان، مجلة جامعة المدينة العالمية للأديان والمذاهب المعاصرة، مصر، 2013م، وكذلك: نادية الشرقاوي، المدرسة الإسلامية النقدية للكتب المقدسة، الواضحة العدد السادس، المغرب، 2012م، ص173. [↑](#footnote-ref-10)
11. ) دكتور وليد علي الطنطاوي، الجذور القرآنية لعلم مقارنة الأديان، بحث في: مقارنة الأديان، قسم الدعوة وأصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا. [↑](#footnote-ref-11)
12. ) دكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: حديث القرآن عن التوراة، الأردن، دار العلوم للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م. [↑](#footnote-ref-12)
13. ) [سورة آل عمران: (71)]. [↑](#footnote-ref-13)
14. ) [سورة البقرة: (75)]. [↑](#footnote-ref-14)
15. ) [سورة البقرة: (79)]. [↑](#footnote-ref-15)
16. ) محمد عبد الله دراز: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، 1982م، ص14. [↑](#footnote-ref-16)
17. ) نعيمة إدريس: أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008م، ص13. [↑](#footnote-ref-17)
18. ) السيد إبراهيم أحمد: حبًا في أمي عائشة، دار حروف منثورة للنشر، 2015م، ص 42. [↑](#footnote-ref-18)
19. ) علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، ط4، 1966، ج 4، ص 5. [↑](#footnote-ref-19)
20. ) إبراهيم تركي،:علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002، ص110. [↑](#footnote-ref-20)
21. ) صلاح عبد الفتاح الخالدي (2004)، سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، من آدم إلى إبراهيم، دار العلوم للنشر والتوزيع، الأردن، ص24. [↑](#footnote-ref-21)
22. ) محمد خليفة حسن أحمد: مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م، ص 11. [↑](#footnote-ref-22)
23. ) انظر: علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، 1964م، ص4. وكذلك، السقا، أحمد حجازي أحمد، نقد التوراة.. أسفار موسى الخمسة.. السامرية .. العبرانية .. اليونانية، مكتبة النافذة، مصر، 2001م، ص38. [↑](#footnote-ref-23)
24. ) انظر: عبد الوهاب عبد السلام طويلة (2002)، الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ص59. [↑](#footnote-ref-24)
25. ) يحي محمد على ربيع (1994)، الكتب المقدسة، بين الصحة والتحريف، ط. الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ص99. [↑](#footnote-ref-25)
26. ) انظر: أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، دار الاعتصام، ص22. [↑](#footnote-ref-26)
27. ) حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني 604 ــ 562 ق.م، المؤسسة العامة للأثار والتراث، العراق، ص80. [↑](#footnote-ref-27)
28. ) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص293. [↑](#footnote-ref-28)
29. ) انظر: إبراهيم ثروت حداد عافية، كشف الخطأ والدخيل في توراة بني إسرائيل، دراسة مقارنة من التوراة والقرآن، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، 2006، ص13. [↑](#footnote-ref-29)
30. ) علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، 1964م، ص30. [↑](#footnote-ref-30)
31. ) انظر: زالمان شازار، نقد العهد القديم، ترجمة أحمد محمد هويدي، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص13. [↑](#footnote-ref-31)
32. ) كريمة نور عيساوي: "التوراة من التدوين إلى النقد، دراسة تطبيقية في سفر التكوين لقضايا: الخلق والخطيئة والطوفان وبرج بابل"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس، المغرب، 2015م. [↑](#footnote-ref-32)
33. ) علم اللغة المقارن Comparative linguistics أو الفيلولوجي ، هو فرع من فروع علم اللغة أو اللسانيات التاريخية التي تركز على مقارنة اللغات لتحديد الصلة التاريخية بينها مثل القرابة الوراثية الأصل المشترك للغة بهدف بناء العائلات اللغوية وتحديد التغيرات التي أدت إلى ظهور اللغات بالشكل الذي تكون عليه في كل منطقة من أجل الحفاظ على سلامة المصطلحات. [↑](#footnote-ref-33)
34. ) سعيد كفايتي، دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان، العدد/22، مجلة التسام ح: فصلية فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، 2008م. [↑](#footnote-ref-34)
35. ) أسامة أبو نحل: "نقد نماذج لروايات العهد القديم من خلال القرآن الكريم والدراسات الحديثة"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، 2012م. [↑](#footnote-ref-35)
36. ) انظر: نهى كمال السيد: "مقارنة منهج ابن حزم ورينان في نقد نصوص العهد القديم"، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2011م. [↑](#footnote-ref-36)
37. ) [المائدة: (48)]. [↑](#footnote-ref-37)
38. ) ابن تيمية: [مجموع الفتاوي: (44/17)]. [↑](#footnote-ref-38)
39. ) تفسير القرآن العظيم (92/2). [↑](#footnote-ref-39)
40. ) [الحجر: (9)]. [↑](#footnote-ref-40)
41. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص151. [↑](#footnote-ref-41)
42. ) جاري ميللر: القرآن المعجز، موقع رسول الله. نت، ص11. [↑](#footnote-ref-42)
43. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص152 [↑](#footnote-ref-43)
44. ) أخرجه الترمذي (3086) وأبو داود (786) والنسائي في السنن الكبرى (8007) والبيهقي في السنن الكبرى (2/42) وأحمد (376)]. [↑](#footnote-ref-44)
45. ) [القدر: (1)]. [↑](#footnote-ref-45)
46. ) [الدخان: (3)]. [↑](#footnote-ref-46)
47. ) [البقرة: (185)]. [↑](#footnote-ref-47)
48. ) [الأنعام:(38)]. [↑](#footnote-ref-48)
49. ) [49] [تك: 1:1]. [↑](#footnote-ref-49)
50. ) [تك 1 : 5]. [↑](#footnote-ref-50)
51. ) برسوم ميخائيل: "الله: بين إعلانات الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث"، دار الإخوة، القاهرة، 2007م، ص 67. [↑](#footnote-ref-51)
52. ) [خر20 : 11]. [↑](#footnote-ref-52)
53. ) [خر20 : 11]. [↑](#footnote-ref-53)
54. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص158. [↑](#footnote-ref-54)
55. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص19. [↑](#footnote-ref-55)
56. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص46. [↑](#footnote-ref-56)
57. ) وديع شكري، دراسات كتابية في سفر التكوين والاعتراضات، شركة ترينتي للدعاية والإعلان، القاهرة، ص82. [↑](#footnote-ref-57)
58. ) [سورة فصلت: (9 ــ 12)]. [↑](#footnote-ref-58)
59. ) [سورة الأعراف: (54)]. [↑](#footnote-ref-59)
60. ) أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد السابع، دار طيبة، القاهرة، 1999م، ص109. [↑](#footnote-ref-60)
61. ) علي محمد الصلابي، المعجزة الخالدة، شبكة الألوكة، 2016م، ص25. [↑](#footnote-ref-61)
62. ) [سورة الأعراف: (54)]. [↑](#footnote-ref-62)
63. ) [سورة يونس: (3)]. [↑](#footnote-ref-63)
64. ) [سورة هود: (7)]. [↑](#footnote-ref-64)
65. ) [سورة الفرقان: (59)]. [↑](#footnote-ref-65)
66. ) [سورة الفرقان: (59)]. [↑](#footnote-ref-66)
67. ) [سورة ق: (38)]. [↑](#footnote-ref-67)
68. ) [سورة ق: (38)]. [↑](#footnote-ref-68)
69. ) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص161. [↑](#footnote-ref-69)
70. ) انظر: الموسوي سلامة حسين كاظم الموسوي (2011)، الكون بين العلم والتوراة والقرآن، مجلة كلية العلوم الإسلامية، بغداد، ص52، ومحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص162. [↑](#footnote-ref-70)
71. ) [سورة الحج: (47)]. [↑](#footnote-ref-71)
72. ) [سورة المعارج: (4)]. [↑](#footnote-ref-72)
73. ) مشكور العوادي، الإعجاز العلمي للآيات الكونية، مجلة مركز دراسات الكوفة،2008م، ص9. [↑](#footnote-ref-73)
74. ) [سورة الكهف: (51)]. [↑](#footnote-ref-74)
75. ) [سورة فصلت: (9 ــ 12)]. [↑](#footnote-ref-75)
76. ) [سورة الشورى: (29)]. [↑](#footnote-ref-76)
77. ) [سورة الدخان: (38)]. [↑](#footnote-ref-77)
78. ) [سورة ق: (38)]. [↑](#footnote-ref-78)
79. ) [سورة الزخرف: (9)]. [↑](#footnote-ref-79)
80. ) [سورة الجاثية :(22)]. [↑](#footnote-ref-80)
81. ) [سورة الشورى: (10)]. [↑](#footnote-ref-81)
82. ) [سورة طه: (4)]. [↑](#footnote-ref-82)
83. ) [سورة فصلت: (9)]. [↑](#footnote-ref-83)
84. ) [سورة فصلت: (11)]. [↑](#footnote-ref-84)
85. ) سلسلة الافتراءات (1): الأرض أم السماء أولاً؟، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي. [↑](#footnote-ref-85)
86. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص162. [↑](#footnote-ref-86)
87. ) دكتور الطيب النجار، لا تعارض في آيات الكتاب الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، 2014م. [↑](#footnote-ref-87)
88. ) [سورة الأنبياء:(30)]. [↑](#footnote-ref-88)
89. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص162. [↑](#footnote-ref-89)
90. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص172. [↑](#footnote-ref-90)
91. ) موريس بوكاي: "القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب السابقة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص172. [↑](#footnote-ref-91)
92. ) دكتور كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2006م، ص 114، 115. [↑](#footnote-ref-92)
93. ) كمال الصليبي، خطايا التوراة وأسرار شعب الله، ط6، دار الساقي، 2006م، ص 22، 23. [↑](#footnote-ref-93)
94. ) دكتور فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، والعلوم الإسلامية، ط1، دار البشير للثقافة طنطا، مصر، 1994م، ص437. [↑](#footnote-ref-94)
95. ) جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم (التوراة)، ترجمة دكتورة نبيلة إبراهيم، ج1، ط2، دار المعارف القاهرة، 1982م، ص 79. [↑](#footnote-ref-95)
96. ) الدكتور حامد طاهر، نظرية خلق الانسان في القران الكريم، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مصر، 2010، ص44. [↑](#footnote-ref-96)
97. ) دكتور موريس بوكاي، ما أصل الإنسان، ص21. [↑](#footnote-ref-97)
98. ) صلاح حافظ، التاريخ الجنسي للإنسان من الكهف إلى حبوب منع الحمل، الكتاب الذهبي، روز اليوسف، القاهرة، ص17. [↑](#footnote-ref-98)
99. ) سيجموند فرويد، الحياة الجنسية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999م، ص45. [↑](#footnote-ref-99)
100. ) [سورة الحجرات: (13)]. [↑](#footnote-ref-100)
101. ) [سورة الزمر: (6)]. [↑](#footnote-ref-101)